أحكام الجهاد
في الشريعة الإسلامية

أبو الحسن
عمر بن حسن المحمدي

تقديم
أبوعبدالله الأثري
حذيفة بن وحيد الخزاعي العراقي

أحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية

أبو الحسن عمر بن حسن المحمدي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أحكـــام الجـــهاد
في الشـريعة الإسلاميــة

إعداد
أبو الحسن / عمر حسن أحمد المحمدي

تقديم
أبو عبد الله الخزاعي الأثري
حذيفة بن حسين بن وحيد الخزاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعثون، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد. فينبغي للمؤمن أن يتعلم أحكام دينه حتى يعبد ربه على بصيرة ولا يقع فيما يبطل عمله أو ينقصه وهو لا يعلم ، ومن الأمور الشرعية العظيمة الجهاد فإن فضله عظيم وخطر الخطأ فيه فادح لأنه متعلق بحل النفس والمال والعرض أو حرمتها فمن قتل من لا يجوز قتله شرعاً بحجة الجهاد فقد ارتكب أمراً عظيماً ومنكراً جسيماً فعليه أثم القتل وهو عظيم من كبائر الذنوب وعليه إثم تشويه سمعة الإسلام بارتكابه مالا يرضاه الله وكل ما لا يرضاه الله فإن الفطر السليمة للناس ولو كانوا كفاراً لا ترضاه وتعُدُه عملاً منكراً فكيف وقد نَسَبَ هذا المنكر إلى دين الله ؟

وما وقع فيه الإرهابيون عنكم ببعيد فقد قتلوا أهل الذمة والمعاهدين بل وقتلوا المسلمين وكفَّروهم واستباحوا دمائهم وأموالهم بحججٍ واهية وأفكارٍ ليست من دين الله في شيء وما ذاك إلا بسبب جهلهم وعدم معرفتهم بدين الله ، فالواجب التعلم ومعرفة الحق بدليله حتى يكون سعي المؤمن موافقاً لما شرعه الله فيسعد في الدارين .

لذا اخترت أن يكون موضوع بحثي لمشروع التخرج هو (أحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية)

أهمية البحث :

يهدف البحث إلى بيان أهمية أحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية :

أولاً : هذا الموضوع من الأهمية بمكان وخصوصاً هذا الزمان الذي كاد يتلاش من بطون الكتب والمناهج كما أن بعض الفرق الإسلامية لا يوجد عندهم جهاد وخاصة الروافض

ثانيا: التصرف على العسكرية الإسلامية لما فيها من قيم وأخلاق هدفها دعوة الناس إلى الله وتحارب الفساد و لاتنشره .

ثالثاً : التعرف على أحكام الجهاد وحالاته وفضل الجهاد والمجاهدين وحكمة اقتحام المجاهد على العدو .

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى:

١. أن يتعرف المسلمون على أحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية .

٢. بيان فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله .

٣. بيان صيانة الدماء في الإسلام، وأن تهدر إلا بمسوغ اعتبرته الشريعة.

٤. الوقوف على الحكم الشرعي المنسجم مع روح الشريعة وقواعدها العامة.

٥. الكشف عن مدلول الجهاد ومفهومة في الإسلام.

المساهمة في صد الهجمة الشرسة المواجهة ضد الإسلام ووصفه بأوصاف هو بريء منها بل حقيقته على النقيض منها.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أبرز الأسباب لاختيار هذا الموضوع الآتي :

١- جهل كثير من الناس أحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية .

٢- انحراف الجهاد عن معناه الحقيقي عند بعض المسلمين اليوم ، قتال لشهوة دينا ، أو منصب ، أو وطن ، أو قوميه على أساليب من النظم الوضعية المستوردة . فأرت بيان أحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية

٣- وجود مباحثه في أكثر أبواب الفقة مما يفيد الباحث ويوسع اطلاعه .

منهج البحث :

المنهج الذي يستخدمه الباحث في هذا البحث هو المنهج التحليلي الاستقرائي لأحكام الجهاد في الشريعة الإسلامية وجمعها والمقارنة مع ما يقوله العلماء حول الجهاد .

وأما عن الدراسات السابقة :

تعددت اتجاهات التصنيف والتأليف منها

١- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية - لـ د. علي العليان

إن الله سبحانه أرسل خاتم رسله عليه الصلاة والسلام بأكمل وأشمل وأتم رسالة سماوية وكلفه بالدعوة إلى الله عز وجل وشرع له وسائل الدعوة وطرقها فقام بأمر ربه خير قيام فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة . إن أقوى سلاح تتسلح به الدعوة في حال ضعفها هو الاتصال بالله وتكثيف العبادة والصبر والثبات على الحق . إن النجاح في الابتلاء وسيلة للنجاح في الدعوة إلى الله تعالى.

٢- الجهاد في سبيل الله .. فضله، ومراتبه، وأسباب النصر على الأعداء

سعيد بن علي القحطاني

إن سبب خذلان الأمة وضعفها،إنما هو بتركها الجهاد وركونها إلى الدنيا،وإتباعها لشهواتها،ولو أنهم اتبعوا درب الجهاد،وساروا على خطى من قبلهم لم حل بهم ما حل

إن سبب تعظيم الجهاد وتعظيم فضله واجره،لأنه وسيلة لغاية متناهية في عظمها بل لا شيء أعظم منها،وشرف الوسائل يكون من شرف غايتها ،ولما كانت غاية الجهاد رفع راية الله وحماية دينه كان له هذا الشرف وهذه العظم

٣- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته : المؤلف :عبدالله بن أحمد قادري الأهدل

فضل الجهاد في سبيل الله وكونه رحمة للعالمين كالإسلام وأن الجهاد في سبيل الله يشمل نشاط الإسلام كله، فلا يخلو وقت المسلم كله من مشروعية الجهاد في سبيل الله إما واجباً عينياً وإما كفائياً وإما مسنوناً ـ على ما اختير من تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ وإن الجهاد بمفهومه الخاص ـ وهو قتال الكفار ـ يقوم على إعداد المجاهدين والمال والسلاح واستغلال جميع الطاقات المتاحة ولا يتحقق إلا لمن جاهد نفسه في ذات الله عز وجل .

وأما خطة البحث : فهي مكونة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، وهي كالآتي :

المقدمة : وتتضمن الآتي :

١. التعريف بالبحث .
٢. أهمية البحث
٣. أهداف البحث .
٤. سبب اختيار الموضوع.

٥. منهج البحث .

٦. الدراسات السابقة .

الفصل الأول : حقيقة الجهاد ومشروعيته : ويضم أربعة مباحث :

المبحث الأول: تعريف الجهاد لغة وشرعاً

المبحث الثاني : مشروعية الجهاد في سبيل الله

المبحث الثالث مراحل تشريع الجهاد في سبيل الله

المبحث الرابع : الحالات التي يتعين فيها الجهاد

الفصل الثاني : فضل الجهاد : وفيه مبحثان :

المبحث الأول : فضل المجاهدين في سبيل الله

المبحث الثاني : أهداف الجهاد في سبيل الله

الفصل الثالث : أنواع الجهاد في سبيل الله : وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الجهاد المعنوي

المبحث الثاني جهاد الدعوة إلى الله

الفصل الرابع : مسوغات الجهاد في سبيل الله : ويضم أربعة مباحث :

المبحث الأول :حكم الجهاد في سبيل الله

المبحث الثاني :الجهاد بين فرض الكافية وفرض العين

المبحث الثالث :الترهيب في ترك الجهاد وبيان عواقبه

المبحث الرابع : ثمرات الجهاد وفوائده .

وقد بذلت قصارى جهودي في جمع مادة هذا البحث من كتب العلماء القداماء والمحدثين ولا أدعي فيه الكمال ، فالكمال لله عز وجل ، و قد بذلت كل جهدي ، وأسال الله التوفيق والسداد، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

عمر حسن أحمد المحمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المقدم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

ثم أما بعد:

الجهاد : لهُ فضائل كثيرة وعديدة ولا تنحصر بين كفتي كتاب ولكن هذا البحث القيم النافع بإذن لله تعالى أختصر فضائله واختصاره ليس مخل به فهو جامع مانع وبعد استقراء بسيط لمحتويات البحث وجته يشتمل على عدد من المحاور وكل محور مختصر اختصار مبارك وقيم لأنهُ مكتمل المعنى المطلوب.فأنصح باقتنائه لأنه مختصر وغير متشعب ويصلك الى مطلبك من تعريف وفضل وحكم .

هذا شيء الشيء الأخر : هو ما أصاب هذه الأمة من ذلة وكسل وتهاون وخمول لكه بسبب تركهم لسنام الإسلام وتمسكهم بأذناب البقر ولا حول ولا قوة إلا بالله بل عندما تتكلم مع من ينتمي الى هذه الأمة على مسألة الجهاد يتعكر مزاجه ويظن بك الظنون ولا يعلم المسكين ما في الجهاد من خير. وتجده يحب ويدافع ويأتيك بالمبررات لأعداء الاسلام.

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا

أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾ سورة الممتحنة

والنداء هنا للمؤمنين وبعض من يدعي انتمائه الى هذه الأمة يخالف كلام ربنا سبحانه وتعالى بكل وقاحة وجرئ ويوالي أعداء الإسلام ويعادي المسلمين. بل يحاربهم.

وهناك سؤال يتردد علينا كثيرا في مسائل الجهاد:وهو هل الجهاد فرض عين أم ماذا ؟

الجواب بحول الملك الوهاب : { هو فرض كفاية } :

هذا هو قول عامة أهل العلم وكافتهم ، لقوله تعالى : "كتب عليكم القتال .. " ولا يجوز للأمة أن تفرط في هذا الفرض فإن فرطت فقد أثمت ، وهي من فروض الكفايات لا الأعيان لقوله تعالى : " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله " ففيه أفضلية .

وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يخرج مع كل سرية وكذلك الصحابة رضي الله عنهم ، ولقوله تعالى : " ما كان المؤمنون لينفروا كافة " .

إلا إذا حضره أو حصره أو بلده عدو ، أو كان النفير عاماً ففرض عين }:والله تعالى أعلم وحتى لا أطيل : أقول نفع الله بالأخ أبو الحسن عمر حسن المحمدي وجزاه الله خير وفتح الله عليه

هذه مقدمة بسيطة والبحث لا يحتاج الى من يحققه ويقدمه فإنه نافع وقيم ويحتوي على درر وجواهر ثمينة وأترك القارئ الكريم يصداد من بحر المعلومات

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

كتبه

أبو عبد الله الخزاعي الأثري

حذيفة بن حسين بن وحيد الخزاعي

الفصل الأول

حقيقة الجهاد ومشروعيته

المبحث الأول : تعريف الجهاد لغة واصطلاحاً

تعريف الجهاد في اللغة : مأخوذ من الجهد ، وهو بذل الطاقة ، أو الوسع ، أو هو المشقة.

هو:بذل واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل[١].

قال الراغب رحمه الله في مفرداته : " الجَهد والجُهد : الطاقة والمشقة ، وقيل الجهد بالفتح المشقة ، والجُهد الوسع " وقال ابن حجر في الفتح: " والجهاد بكسر الجيم ، أصله لغة المشقة . "

وهو في الشرع – عند غالب الفقهاء – قتال المسلم الكافر ، بعد دعوته إلى الإسلام أو الجزية ، وإبائه[٢] .

هو: بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار المعاندين المحاربين،والمرتدين، والبغاة ونحوهم؛ لإعلاء كلمة الله تعالى[٣].

وهذا التعريف ليس شاملا لمعنى الجهاد الشرعي .

وأشمل تعريف له ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، حيث قال : " والجهاد هو بذل الوسع – وهو القدرة – في حصول محبوب الحق " وقال في موضع آخر " وذلك أن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان "[٤].

فهذا التعريف يشمل كل أنواع الجهاد التي يقوم بها المسلم ، يشمل اجتهاده في طاعة الله بامتثال أمره واجتناب نهيه في نفسه ، واجتهاده في دعوة غيره – مسلما كان أو كافرا - إلى طاعة الله ، واجتهاده في قتال الكفار لإعلاء كلمة الله ، وغير ذلك .

---

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر.المؤلف : الجزري - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ٣١٩/١، باب الجيم مع الهاء، والمصباح المنير، مادة ((جهد))، ١١٢/١

(٢) بدائع الصنائع ٤٢٩٩/٩ فتح الباري (٣/٦) مطالب أولي النهى ٤٩٧/٢ .

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢/٦، والروض المربع مع حاشية ابن قاسم، ٢٥٣/٤، وسبل السلام للصنعاني، ٢٣٧/٧، ونيل الأوطار للشوكاني، ٦/٥، والمغني لابن قدامة، ١٠/١٣، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف، ١٢/١٠، والشرح الممتع لابن عثيمين،٨/٨.

(٤)مجموع الفتاوى ١٩١/١٠-١٩٢.

والقيد " في سبيل الله " شرط في كون الجهاد شرعيا ، وهو يخرج كل سعي واجتهاد لا يقصد به وجه الله .

أما الجهاد في اصطلاح القرآن والسنة :

يأتي بمعنى أعم وأشمل، يشمل الدِّين كله؛ وحينئذ تتسع مساحته فتشمل الحياة كلها بسائر مجالاتها و نواحيها وله كذلك معنى خاص هو القتال لإعلاء كلمة الله عز و جل .

استطراد في المفهوم الشرعي :

إن مفهوم " الجهاد " في الكتاب والسنة جاء بمعنى القتال و كذلك جاء بمعنى أعم و أشمل من القتال ، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [1]قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((وجاهدهم به)) أي القرآن [2] فالجهاد الكبير هنا ليس هو القتال، إنما هو الدعوة والبيان بالحجة والبرهان وأعظم حجة وبيان هو هذا القرآن، إنه حجة الله على خلقه، ومعه تفسيره وبيانه الذي هو السنة.

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [3]

وفي هذه الآية ليس المراد بجهاد المنافقين القتال، لأن المنافقين يظهرون الإسلام يتخذونه جُنَّةً، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتلهم بل عاملهم بظواهرهم وحتى من انكشف كفره منهم كعبدالله بن أبي بن سلول لم يقتله صلى الله عليه وسلم وقال:(لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) ولكن جهاد المنافقين يكون بالوسائل الأخرى، مثل كشف أسرارهم ودواخلهم وأهدافهم الخبيثة، وتحذير المجتمع منهم، كما جاء في القرآن .وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [4] وتفسير هذه الآية : (الذين جاهدوا فينا) أي جاهدوا في ذات الله أنفسَهم وشهواتِهم وأهواءَهم وجاهدوا العراقيلَ والعوائقَ، وجاهدوا الشياطين، وجاهدوا العدو من الكفار المحاربين، فالمقصود الجهادُ في معترك الحياة كلِّها .

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير دار طيبة الطبعة : الثانية ٥/ ١٤٠
(٣) سورة التوبة آية ٧٣ .
(٤) سورة العنكبوت آية ٦٩.

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أنواع الجهاد بمفهومه الشامل فقال: ((ما من نبي بعثه الله في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤْمَرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)) [١]. والمراد بجهاد القلب في هذا الحديث هو بغضهم وبغض حالهم، وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم فعلَ القلب هذا جهاداً، كما سمَّى فعل اللسان جهاداً، وكما سمى فعل اليد من باب أولى جهاداً .وأيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: أجاهد ؟ قال:(ألك أبوان ؟) قال: نعم، قال: (ففيهما فجاهد) [٢]. فسمَّى النبي صلى الله عليه و سلم بِرَّ الوالدين ورعايتَهُمَا جهاداً في هذا الموقف، فكلٌّ جهادُهُ بحَسَبِهِ.وأمثلة هذا من السنة كثيرة يسمي فيها بعض الأعمال الصالحة جهاداً أو يجعلها بمنزلة الجهاد؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)[٣]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (الحج جهاد والعمرة تطوع) . وقوله صلى الله عليه وسلم في النساء: (جهادكن الحج) [٤] وقوله صلى الله عليه وسلم: (المجاهد من جاهد نفسه) [٥]

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في المقصود من الجهاد: ((الجهاد نوعان: جهاد طلب، وجهاد دفاع، والمقصود منهما جميعاً هو تبليغ دين الله، ودعوة الناس إليه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإعلاء دين الله في أرضه، وأن يكون الدين كله لله وحده)) [٦] وهذا كله يوضح مدى اتساع دائرة الجهاد، وأنها ليست محصورة في القتال، بل هي مرتبطة بمجالات الحياة كلها وبعضنا ربما نظر إلى الجهاد نظرة ضيقة فحصره في جانب القتال، وهذا قصور في فهم نصوص الكتاب والسنة .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين ٢٢٢٨/٥، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ١٩٧٥/٤ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل ٢٠٤٧/٥ .
(٤)أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب جهاد النساء ١٠٥٤/٣
(٥) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل من مات مرابطا ١٦٥/٤ .
(٦) مجموع فتاوى ابن باز ٧٠/١٨ .

المبحث الثاني : مشروعية الجهاد في سبيل الله

الجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (١)

ويكون الجهاد **فرض عين في ثلاث حالات:**

١ـ إذا حضر المسلم المكلف القتال والتقى الزحفان وتقابل الصفان، قال الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٢)

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن التولي يوم الزحف من السبع الموبقات.

٢ـ إذا حضر العدو بلدًا من بلدان المسلمين تعين على أهل تلك البلاد قتاله وطرده منها، ويلزم المسلمين أن ينصروا ذلك البلد إذا عجز أهله عن إخراج العدو ويبدأ الوجوب بالأقرب فالأقرب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(٣)

٣ـ إذا استنفر إمام المسلمين الناس وطلب منهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(٤)

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢ .
(٢) سورة الأنفال الآيتان ١٥، ١٦.
(٣) سورة التوبة آية ١٢٣ .
(٤) سورة التوبة آية ٤١.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونِيَّة، وإذا استُنفِرْتُم فانْفِروا".[1]

وجنس الجهاد فرض عين: إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد. فيجب على المسلم أن يجاهد في سبيل الله بنوع من هذه الأنواع حسب الحاجة والقدرة. والأمر بالجهاد بالنفس والمال كثير في القرآن والسنة، وقد ثبت من حديث أنس – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم"[2]

مراتب الجهاد في سبيل الله

الجهاد له أربع مراتب: جهاد النفس، والشيطان، والكفار، والمنافقين، وأصحاب الظلم والبدع والمنكرات:

أولاً: جهاد النفس أربع مراتب:

١ـ جهادها على تعلم أمور الدين والهُدى الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

٢ـ جهادها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

٣ـ جهادها على الدعوة إليه ببصيرة، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

٤ـ جهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، وأن يتحمل ذلك كله لله. فمن علم وعمل، وصبر فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات.

ثانيًا: جهاد الشيطان وله مرتبتان:

١ـ جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية ١٠٤٠/٣ .
و مسلم في كتاب الإمارة ، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى ١٤٨٨/٣
(٢) أخرجه الأمام أحمد في مسنده ١٥٣/٣.

٢ـ جهاده على دفع ما يلقي إليه من الشهوات والإرادات الفاسدة، فالجهاد الأول بعد اليقين والثاني بعد الصبر، قال الله تعالى﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[١].

والشيطان أخبث الأعداء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[٢]

ثالثًا: جهاد الكفار والمنافقين:

وله أربع مراتب:

١ـ بالقلب.

٢ـ واللسان.

٣ـ والمال.

٤ـ واليد.

وجهاد الكفار أخصّ باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان.

رابعًا: جهاد أصحاب الظلم والعدوان، والبدع والمنكرات:

وله ثلاث مراتب:

١ـ باليد إذا قدر المجاهد على ذلك.

٢ـ فإن عجز انتقل إلى اللسان.

٣ـ فإن عجز جاهد بالقلب، فعن أبي سعيد – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".[٣]

---

(١) سورة السجدة آية ٢٤.
(٢) سورة فاطر آية ٦ .
(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١ .

فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، وأكمل الناس عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد؛ ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله محمد خاتم أنبيائه ورسله؛ فإنه كمّل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه ما تتابع الليل والنهار.

الحكمة من مشروعية الجهاد

بيّن الله عز وجل الهدف والغاية من الجهاد في سبيل الله تعالى، قال سبحانه:﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾[1]

وقال عز وجل ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ﴾[2]

فعلى هذا يكون الهدف والحكمة من الجهاد الأمور الآتية:

أولاً: إعلاء كلمة الله تعالى؛ لحديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[3].

ثانيًا: نصر المظلومين قال تعالى﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ﴾[4]

ثالثًا: ردّ العدوان وحفظ الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾[5]

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٩.
(٢) سورة البقرة آية ١٩٣ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ١٠٣٤/٣ و مسلم في كتاب الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ١٥١٢/٣.
(٤) سورة النساء آية ٧٥.
(٥) سورة البقرة آية ١٩٤.

المبحث الثالث : مراحل تشريع الجهاد في سبيل الله

قال ابن القيم -رحمه الله-: فصل في ترتيب سياق هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقي الله تعالى ، أول ما أوحى إليه ربه أن يقرأ باسم ربه الذي خلق وذلك أول نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ ، ثم أنزل عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾[1]، فنبأه قومه ثم أنذر من حولهم من العرب ثم أنذر العرب قاطبة ثم أنذر العالمين .

فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ويؤمر بالكف والصبر والصفح ثم أذن له في الهجرة وأذن له في القتال ثم أمره أن يقاتل من قاتله ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة ، فأمر أن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم ، وأن يوفى لهم به ما استقاموا على العهد فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد وأمر أن يقاتل من نقض عهده ، ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة واللسان وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام :-

قسماً: أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له فحاربهم وظهر عليهم.

وقسماً: لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم.

وقسماً: لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه أو كان لهم عهد مطلق فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر فإذا انسلخت قاتلهم إلى أن قال فقاتل الناقض لعهده وأجل من لا عهد له أو له عهد مطلق أربعة أشهر وأمره أن يتم للموفى بعهده عهده إلى مدته فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم وضرب على أهل الذمة الجزية فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة ، ثم آل حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين : محاربين ، وأهل ذمة .

والمحاربون له خائفون منه فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف محارب .[2]

مراحل تشريع الجهاد:

---

(١) سورة المدثر الآيتان ١-٢.
(٢) ينظر زاد المعاد ١٤٣/٣ لابن قيم الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧ – ١٩٨٦.

الجهاد مر بمراحل :-

أولها: مرحلة الكف والإعراض والصفح حيث كان القتال محرماً قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾(١)

روى ابن جرير والنسائي في سننهِ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي صلي الله عليه وسلم:" فقالوا: يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة ، فقال إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا " .

فلما حوله الله إلى المدينة أمر بالقتال فكفوا فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾

وقال ابن القيم - رحمه الله - عن هذه المرحلة: والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فأذن لهم بالقتال ولم يفرضه عليهم فقال :﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

وهذه هي المرحلة الثانية: مرحلة الإذن بالقتال .

ثم المرحلة الثالثة: وهى الأمر بالقتال لمن قاتلهم دون من يقاتل: وذلك بقوله تعالى:﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾(٢)

ثم المرحلة الرابعة: فرض عليهم قتال المشركين كافة ، بقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾(٣)

---

(١) سورة النساء آية ٧٧ .
(٢) سورة البقرة آية ١٩٠.
(٣) سورة التوبة آية ٢٩ .

وعن ابن عباس وأبى العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم يعنى حتى لا يكون شرك .

وقال النبي صلي الله عليه وسلم:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله " [1] وهذه المرحلة الأخيرة هي التي استقر عليها الأمر في معاملة المسلمين للكفار من جميع الأجناس ، أهل الكتاب وغيرهم .

بيان المراحل التي تنقل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته وجهاده إلى النتائج التالية:

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية قد أُمِرَ بكف اليد وترك الجهاد المسلح مع كفار قريش، وأُمِرَ فيها بجهاد البلاغ والبيان، وتحمل في سبيل ذلك هو وأصحابه رضي الله عنهم من الأذى أصنافًا كثيرة• ولا شك أن في الأمر بكف اليد في المرحلة المكية حكمًا وغايات عظيمة لعل من أبرزها:

- ضعف المسلمين وقلة عددهم بحيث لو تمت المواجهة مع المشركين فإن ذلك من شأنه أن يوئد الدعوة في مهدها•

- ومنها: الإعداد والتربية للأتباع التي يقوم على كاهلها نشر الإسلام ونصرة الدين.

- ومنها: أن يأخذ البلاغ حقه، وتقوم الحجة على المشركين، ويتم البيان للناس عن حقيقة الإسلام وحقيقة سبيل المجرمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

وغير ذلك من الحكم.

٢- أن الجهاد المسلح للكفار لم يؤذن فيه إلا بعد الهجرة بعد أن تهيأ للمسلمين المكان الذي يأمنون فيه وينطلقون منه ويفيئون إليه.

وجاء الإذن في أول الأمر لرفع الظلم، ثم تلا ذلك الأمر بجهاد المعتدي، ثم لمَّا قويت شوكة المسلمين بدأ جهاد الطلب حتى انتهى أمر الجهاد بعد آية السيف إلى أن لا يقبل من الناس إلا الإسلام أو الجزية أو الحرب.

قال ابن تيمية رحمه الله: وكان مأمورًا بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك، ثُمَّ لَمَّا هاجر إلى المدينة وصار له بِها أعوان أذن له فِي الجهاد، ثُمَّ لَمَّا قووا كتب عليهم القتال ولَم يكتب عليهم قتال من سالمهم؛ لأَنَّهم لَم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب نهي النبي صلى الله عليه وسلم على التحريم إلا ما تعرف إباحته ٢٦٨١/٦. ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ٥٢/١.

قريش وملوك العرب، ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت، وأمره بنبذ العهود المطلقة، فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال.اهـ. [١]

وقال: وسبب ذلك أن المخالفة لهم لا تكون إلا مع ظهور الدين وعلوه: كالجهاد، وإلزامهم بالجزية والصغار، فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء لَم تشرع المخالفة لهم، فلما كمل الدين وظهر وعلا، شرع ذلك. [٢]

وقال: فكان ذلك عاقبة الصبر والتقوى اللذين أمر الله بِهما فِي أول الأمر، وكان إذ ذاك لا يؤخذ من أحد من اليهود الذين بالمدينة ولا غيرهم جزية، وصارت تلك الآيات فِي حق كل مؤمن مستضعف لا يُمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه، فينتصر بِمَا يقدر عليه من القلب ونحوه، وصارت آية الصغار على المعاهدين فِي حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه، وبِهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون آخر عُمُر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عهد خلفائه الراشدين، وكذلك هو إلى قيام الساعة، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين وأما أهل القوة فإنَّما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون فِي الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتَّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. [٣] .

قال الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «فالمجتمع المحارب للدين، والذي ليس فيه قائد يعينك على الإصلاح والتوجيه؛ تعمل فيه كما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، تدعو إلى الله بالحسنى وبالأسلوب الحسن، وبالكلمات اللينة، حتى يدخل ما تقول في القلوب، وحتى يؤثر فيها فيحصل بذلك انجذاب القلوب إلى طاعة الله وتوحيده، وتتعاون مع إخوانك ومن سار على نهجك في دعوة الناس وإرشادهم بالطرق اللينة في المجتمعات التي يمكن حضورها حتى يثبت هذا الإيمان في القلوب، وحتى ينتشر بين الناس بأدلته الواضحة»[٤].

وقال أيضاً رحمه الله: «..هكذا الدعوة إلى الله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة المكرمة قبل أن يكون لهم سلطان. ما كانوا يدعون الناس بالسلاح ! »[٥].

---

(١) ينظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٢٣٧.
(٢) ينظر : اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٢٠.
(٣) ينظر : الصارم المسلول ٢/ ٤١٣.
(٤) مجموع فتاواه١/٢٥١) جمع: محمد الشويعر.
(٥) فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماءٍ في الجزائر (ص٦٢) للعلامة عبد المالك رمضان

المبحث الرابع: الحالات التي يتعين فيها الجهاد

الحالات التي يتعين فيها الجهاد في سبيل الله

ويتعين الجهاد عند العلماء في ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن يهجم العدو على بلاد المسلمين ، والأعداء اليوم يهاجمون بلدان المسلمين ، بل يحتلون أرضهم ، ويسفكون دماءهم ، ويخربون بيوتهم ، في مناطق كثيرة من الأرض .

الحالة الثانية : أن يستنفر ولي الأمر المسلمين ، كما قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾[1]

وفي الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح : (لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا)[2]

وقال الحافظ: " وفيه وجوب تعيين الخروج في الغزو على من عينه الإمام" [3]

وقال الكاساني رحمه: " فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل ، فبقي فرضا على الكل عينا بمنزلة الصوم والصلاة "[4].

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٣٨-٣٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية ١٠٤٠/٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٩/٦ .

(٤) بدائع الصنائع ٥٧/٦.

الحالة الثالثة : أن يلتقي الصفان : صف المسلمين وصف الكافرين للقتال ، فإنه يحرم على المسلمين الفرار في هذه الحالة ، لأنه من تولية المسلمين أدبارهم الكافرين الأدبار ، وقد نهى الله تعالى المسلمين عن ذلك ، وتوعد عليه بالغضب وجعله من كبار الذنوب ، كما قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ ﴾[1]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (اجتنبوا السبع الموبقات " قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : " الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المؤمنات المحصنات الغافلات "[2].

لكن في الآية الكريمة – آية الأنفال – استثناء حالتين ، إذا فعلهما المؤمن لا يأثم ، وإن كان ظاهرهما أنه ولى العدو ظهره :

الحالة الأولى : التحرف للقتال ، وهو أن ينتقل المجاهد من موقع في القتال إلى موقع آخر ، احتيالا على العدو ، كأن يدير ظهره موهما له أنه هارب ، ثم يكر عليه .

الحالة الثانية : التحيز إلى فئة ، وذلك أن يعلم المجاهدون أن لا طاقة لهم بقتال العدو ، إما لكثرته وقلتهم ، أو قوة عدته ، وضعف عدتهم ضعفا لا يقدرون معها الوقوف أمامه ، فينحازون إلى طائفة من جيشهم لمناصرتهم ، سواء كانت هذه الطائفة قريبة أم بعيدة ، فالتحيز بهذه النية ليس حراما ولا إثم فيه .

---

(١) سورة الأنفال الآيتان ١٥,١٦ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المحاربين من أهل الكفر والرد ، باب رمي المحصنات ٢٥١٥/٦ ، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها ٩٢/١.

وقد لخص ابن قدامة رحمه الله المواضع التي يتعين فيها الجهاد ، فقال : " ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع :

أحدها إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان ، حرم على من حضر الانصراف وتعين المقام ، لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

وقوله :﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[2]

الثاني : إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

الثالث : إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير معه ، لقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[3] والآية التي بعدها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (وإذا استنفرتم فانفروا)[4]" والحديث متفق عليه .

---

(١) سورة الأنفال الآيتان ١٥ ــ ١٦.
(٢) سورة الأنفال آية ٤٥.
(٣) سورة التوبة آية ٣٨.
(٤) المغني ١٩٧/٩.

الفصل الثاني

فضل الجهاد وآدابه وأهدافه

المبحث الأول :

فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله

المبحث الثاني :

أهداف الجهاد في سبيل الله

الفصل الثاني

فضل الجهاد وآدابه وأهدافه

المبحث الأول : فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله

ومما ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]

ففي هذه الآيات الكريمات يأمر الله عباده المؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد خفافاً وثقالاً ، أي شيباً وشبابا وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ويخبرهم عز وجل بأن ذلك خير لهم في الدنيا و الآخرة ، ثم يبين سبحانه حال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم ، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عن وجل ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُ ﴾

ثم يعاتب نبيه صلي الله عليه وسلم عتابا لطيفا على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾

ويبين عز وجل أن في عدم الإذن لهم تبيين للصادقين وفضيحة للكاذبين ، ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم و الآخر لا يستأذن في ترك الجهاد بغير عذر شرعي لان إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك، ويحفزه إلى المبادرة إلى الجهاد والنفير مع أهله ، ثم يذكر سبحانه أن الذي يستأذن في ترك الجهاد هو عادم الإيمان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به الرسول

(١) سورة التوبة الآيتان ٤١ – ٤٥.

صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أعظم حث وأبلغ تحريض علي الجهاد في سبيل الله ، والتنفير من التخلف عنه .

وقال تعالى في فضل المجاهدين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (١)

ففي هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم في الجهاد في سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله الله عز وجل ، وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمنه لأهله الجنة، أنهم يقاتلون في سبيله فيقتلون ويقتلون ، ثم ذكر سبحانه أنه وعدهم بذلك في أشرف كتبه وأعظمها ، التوراة ، و الإنجيل والقرآن ، ثم بين سبحانه أنه لا أحد أوفى بعهده من الله ، ليطمئن المؤمنون إلى وعد ربهم ويبذلوا السلعة التي اشتراها منهم ، وهي نفوسهم وأموالهم في سبيله سبحانه عن (إخلاص) وصدق وطيب نفس حتى يستوفوا أجرهم كاملا في الدنيا و الآخرة، ثم يأمر سبحانه المؤمنين أن يستبشروا بهذا البيع لما فيه من الفوز العظيم ، والعاقبة الحميدة ، والنصر للحق والتأييد لأهله ، وجهاد الكفار والمنافقين وإذلالهم ونصر أوليائه عليهم، وإفساح الطريق لانتشار الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة.

وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة التوبة آية ١١١.
(٢) سورة الصف الآيات ١٠ -١٣.

فضل الجهاد في القرآن الكريم

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يفيضان بنصوص وافرة في بيان مكانة الجهاد وماله من فضل يمتاز به على سائر الأعمال والنشاطات الأخرى التي حث الإسلام عليها، ونبه على ضرورة الاضطلاع والقيام بها. بل إن التعبير النبوي الراسخ عن ذلك يتلخص في الحديث الشريف «الجهاد سنام العمل»[1].

فضل الجهاد ومكانته في القرآن الكريم:

قد وردت في الكتاب والسنة فضائل كثيرة للجهاد نجتزئ بذكر طرف مما ورد في كتاب الله منها :

لقد جاء القرآن الكريم مخاطباً أمة العرب في بداية الدعوة الإسلامية، ولما كان اعتزاز العرب وقريش بالذات بمفهوم الحج وأهميته في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية،

فقد جاء القرآن الكريم ليدشن فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته من خلال بيان مفاضلته على «الأعمال الشعائرية» التي كان العرب يقومون بها تحت مسمى الحج قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[2]

وقد بين القرآن الكريم أن مكانة الجهاد التفصيلية والعلاقات التي يغرسها مقدمة على جميع الروابط الأسرية والعلاقات الاجتماعية والمصالح الدنيوية الأخرى، وطالب المسلمين بإيلاء الجهاد ومتطلباته المكانة التي يستحقها، حتى ولو كانت على حساب فئات وعلاقات وأواصر معينة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]

وفي صفقة بليغة، يعقد القرآن الكريم اتفاقاً مع من يحاورهم ويبين لهم سبيل الفلاح الدنيوي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء أي الأعمال أفضل رقم (١٦٥٨) ١٨٥/٤.
(٢) سورة التوبة آية ١٩.
(٣) سورة التوبة آية ٢٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ ﴾[1]

بل إن القرآن الكريم يعلن صراحة أن الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله أحياء، رغم كل الحزن والأسى الذي يشاع عن مقتلهم ووفاتهم: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ ﴾[2]

وجعل القرآن الكريم ميزان التفاضل بين المؤمنين الموقنين أنفسهم، للتمايز بين المؤمنين والمنافقين، هو مدى التزام المؤمن بتعاليم دينه ودعوته إلى الجهاد في سبيل الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٩٦ ﴾

ثم يقرر القرآن الكريم أن الفترة التي يمضيها المجاهدون من حياتهم في الذهاب إلى الجهاد والاشتغال بأعماله وواجباته ومسؤولياته هي أكثر فترات حياتهم بركة وأجراً ومثوبة. فحتى ما يصيب الإنسان من مشاعر وأحاسيس طبيعية بحكم تكوينه وفطرته، من جوع أو عطش أو تعب، تحتسب لهم في صحائفهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ ﴾[3].

---

(١) سورة الصف الآيتان ١٠-١١.
(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩.
(٣) سورة التوبة آية ١٢٠.

فضل الجهاد ومكانته في السنة النبوية الشريفة

تدشن السنة النبوية حثها للمسلمين على الجهاد ببيان مكانته وفضله من بين سائر الأعمال، فالجهاد على رأس تلك الأعمال جميعاً بعد الإيمان بالله عز وجل، وذلك فيما يرويه البخاري ومسلم، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله»[١]

كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن القاعدين من المؤمنين الصالحين مهما اجتهدوا في أعمال البر والتقوى في غير ميادين الجهاد ووسائله، فلن يبلغوا فضل المجاهدين وما أعد لهم من جزيل المثوبة والأجر. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قيل: يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً. كل ذلك يقول: لا تستطيعونه. ثم قال:«مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم، القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله»[٢]

ويكفي المجاهد في سبيل الله عز وجل شرفاً ومثوبة وأجراً أن جسده قد حرم على النار بمجرد مباشرته لأي عمل من أعمال الجهاد ولو كانت بسيطة أو ضئيلة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسهما النار»[٣]

ولعل من أهم المزايا والبركات التي ينالها المجاهد في سبيل الله، أن أي عمل من أعماله، ولو كان قليلاً، يمحو عن صاحبه ما يمكن أن تكون حوت صحائفه من خطايا وذنوب، أو اقترفه في حياته من ملمات وثغرات في السلوك، فضلاً عن كونه يفتح أمامه أبواب الجنة، وييسر له سبيل النجاة يوم القيامة، ومرافقة النبيين والصديقين والصالحين، حال انتهاء حياته الدنيوية بالشهادة.

وجاء في فضل المرابطة والعمل القليل من أعمال الجهاد أحاديث كثيرة، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»[٤]

وقوله عليه الصلاة والسلام كما أخرجه البخاري عنه: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق ، باب أي الرقاب أفضل ٨٩١/٢ .
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ١٤٩٨/٣.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله ١٠٣٥/٣.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل رباط يوم في سبيل الله ١٠٥٩/٣

من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها (خمارها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[1]

ولا يضير المجاهد بعد ذلك أن لا يعتبره الناس أفضلهم، أو أن تكون مكانته الاجتماعية ضمن مقاييسهم الدنيوية غير متوافقة مع ما أعد له الله من أجر ومثوبة، فحسبه أنه من أهل الإعزاز والتكريم، «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»[2] .

(١) فتح الباري: ٤٤١/١١، برقم ٦١٩٨.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٣/ ١٠٥٧.

الأحاديث الواردة في فضل الجهاد :

وردت أحاديث كثيرة تدل على فضل الجهاد منها :

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: ((جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بناقةٍ مخطومة، فقال: يا رسول الله! هذه الناقة في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة)) [١].

وعن أبي سعيدٍ الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بعث إلى بني لحيان، ليخرج من كل رجلين رجل، ثم قال للقاعدين: أيكم خلف الخارج في أهله فله مثل أجره)) [٢].

وعن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من جهز غازياً في سبيل الله فله مثل أجره، ومن خلف غازياً في أهله بخيرٍ وأنفق على أهله فله مثل أجره)) [٣]

أن الغدوة إلى الجهاد في سبيل الله جل وعلا، يكون للإنسان بها أجرٌ عظيمٌ بإذن الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [٤] .

عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((رباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خيرٌ من الدنيا وما عليها)) [٥].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لغدوةٌ في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيده -يعني: موضع سوطه- خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة طلعت إلى الأرض لأضاءت ما

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها ١٥٠٥/٣.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله ١٥٠٧/٣.
(٣) رواه الطبراني بإسنادٍ صحيح ٢٥٧/٥ .
(٤) سورة التوبة ١٢١آية .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله ١٠٥٩/٣

بينهما، ولملأته ريحاً، وإن نصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها)) [1] فهذه الدنيا خيرٌ منها غدوةٌ في سبيل الله، وخيرٌ منها موضع سوط أحدنا في الجنة، وخيرٌ منها روحةٌ في سبيل الله جل وعلا، فلماذا نقدم الدنيا على الآخرة وهذه الدنيا ما متاعها في الآخرة إلا قليل؟! عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا جهادٌ في سبيلي، وإيمانٌ وتصديقٌ برسلي، أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمة)) [2]. واعجبوا أيها الأحبة! لشأن المجاهدين الذين ودعوا الدنيا وطلقوها، وتفرغوا لأمر الآخرة بحالٍ عجيبة، أتعلمون أول زمرةٍ تدخل الجنة؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أول زمرةٍ تدخل الجنة من أمتي أتعلمونها؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: المجاهدون يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة، فيستفتحون -أي: يطلبون فتح باب الجنة- فيقول لهم الخزنة: أو حوسبتم؟ فيقولون: بأي شيءٍ نحاسب وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟! قال: فيفتح لهم ، فيقيلون في الجنة أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس)) [3] .

وجاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: ((دلني على عملٍ يعدل الجهاد؛ فقال صلى الله عليه وسلم: لا أجده، ثم قال صلى الله عليه وسلم: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تُفطر؟ قال: من يستطيع ذلك؟!)) -ومعنى ذلك: أن الجهاد لا يعدله شيء [4]

عن البراء قال: ((جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، ثم تقدم فقاتل حتى قُتل؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عمل يسير وأجر كثير)) [5] .

إن فضائل الشهادة عظيمة إلى درجة أن من لم تكن له حسنة أبداً، وسيرته فيما مضى كلها كفرٌ وعدوانٌ وإنكارٌ وشركٌ، أن أول عملٍ عمله بعد أن نطق الشهادتين أنه جاهد في سبيل الله؛ فاعتُبِر عَمَلُه هذا خيراً كثيراً بنص كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الحديث عن أبي بردة بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله وقاب قوس أحدكم من الجنة ١٠٢٨/٣ و مسلم في الإمارة باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله تعالى رقم ١٨٨٠.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ١٤٩٥/٣
(٣) أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ٨٠/٢.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد والسير ١٠٢٦/٣ .
(٥) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥٠٩/٣.

عبد الله بن قيس قال: ((سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فقام رجلٌ رث الهيئة، قال: يا أبا موسى ! أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قال: فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتل رضي الله عنه)) [1] .

أن الله جل وعلا يقول في محكم كتابه: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [2] .

وجاء في سبب نزول هذه الآية ما حدث به النعمان بن بشيرٍ قال: ((كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجلٌ: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في يوم جمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه، فلما استفتاه أنزل الله قوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾)) [3]

هذه بعض فضائل الجهاد في سبيل الله، وهذه كرامات المجاهدين في سبيل الله، فهل حدثنا النفوس بالجهاد؟ هل حدثنا النفوس بصدق بالجهاد في سبيل الله جل وعلا؟ حتى الجهاد بالمال؛ أن نخلف الغزاة والمجاهدين في ذويهم وأهلهم بخير، الكثير من المسلمين قد فرط وتساهل وبخل بهذا، حتى كفالة أيتام المجاهدين الكثير من المسلمين قد فرط في هذا وبخل به. ووالله إن من أقل القليل وأدنى الواجب، إذا كان لك أربعة أولاد أن يكون خامسهم من أيتام المجاهدين، وإذا كان لك سبعة أولاد أن يكون ثامنهم من أيتام المجاهدين، حتى تنال أقل المراتب، أن تخلف مجاهداً في أهله بخيرٍ وفي ذريته بخيرٍ. والجراح في الجهاد هو أيضاً من فضائل آثار الجهاد، لأن الجهاد لا يمكن أن يكون ورود اً ورياحين وكرامات كما يظن البعض منذ أن ينزل الجبهة وساحة القتال الكرامات تتناثر، لا، حتى لو لم تر كرامةً واحدة، يكفيك كرامةً أن الله أعانك وثبتك وأيدك حتى انطلقت لقتال أعداء

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥١١/٣.
(٢) سورة التوبة آية ١٩ .
(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ١٤٩٩/٣.

المسلمين، والدفاع عن أعراض المؤمنين، والذود عن حرمات المسلمين وأملاكهم ومقدراتهم، فإن في هذا جهاداً عظيماً بإذن الله جل وعلا.: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده لا يُكلَمُ أحدٌ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِمَ، اللون لون الدم والريح ريح المسك)) [1].

وروى الشيخان: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من عبدٍ يموت له عند الله خيرٌ فيسره أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد في سبيل الله؛ لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرةً أخرى)).

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ١٤٩٥/٣ والإمام أحمد في مسنده ٣٨٤/٢ .

مكانة المجاهد في سبيل الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض " [١].

المجاهد في سبيل الله كالصائم القائم القانت بآيات الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى " [٢].

أجر الجهاد في سبيل الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " انتدب الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا إيمان بي ، وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر ، أو غنيمة ، أو أدخله الجنة " [٣].

الشوق إلى الموت في سبيل الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أُحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل " ولمسلم " لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأُقتل ثم أغزو فأقتل " [٤].

رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها " وعند مسلم : لغدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها " [٥].

لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما عليها :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لغدوة في سبيل الله أو روحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها " [٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله١٠٢٨/٣.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ١٠٢٧/٣ومسلم في كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ١٤٩٨/٣.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الجهاد من الإيمان ٢٢/١ .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب التمني ، باب ما جاء في التمني ومن تمنى الشهادة ٢٦٤١/٦.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل رباط يوم في سبيل الله١٠٥٩/٣ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب مثل الدنيا في الآخرة ٢٣٥٨/٥ ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله1499/3 .

الرباط في سبيل الله عمل صالح يجري من بعد الموت :

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأُجري عليه رزقه ، وأمن الفتّان "[١].

لا تمس النار القدمين اللتين اغبرتا في سبيل الله :

عن أبي عبس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما غبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار "[٢].

لايدخل مسلم قتل كافرا في النار : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : " لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا "[٣].

الجهاد في سبيل الله من أفضل أسباب الرزق :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعةً أو فزعة طار عليه ، يبتغي القتل والموت مظانّه "[٤].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل ١٥٢٠/٣ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله١٠٣٥/3 .
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب من قتل كافرا ثم سدد ١٥٠٥/3 .
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والرباط ١٥٠٣/٣ .

ذكر بعض أقوال السلف الصالح في فضل الجهاد والترغيب فيه

ذكر بعض أقوال السلف الصالح في فضل الجهاد والترغيب فيه

لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان على علم تام بفضل الجهاد في سبيل الله وعظمته، وذلك ما حدا بهم إلى التسابق إليه والتنافس فيه.

قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾[1] قال: ((فنزلت آية القتال فكرهوها، فلمَّا بيَّن الله عز وجل ثواب أهل القتال وفضيلة أهل القتال، وما أعدَّ الله لأهل القتال من الحياة والرزق لهم؛ لم يؤثر أهل اليقين بذلك على الجهاد شيئاً، فأحبوه ورغبوا فيه حتى إنهم يستحملون النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يجدوا ما يحملهم تولَّوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزَناً ألا يجدوا ما ينفقون، والجهاد من فرائض الله)) [2].

وقال سيف الله خالد بن الوليد الذي ذاق حلاوة الجهاد في سبيل الله – بعد أن ذاق الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً – وقضى حياته كلها مجاهداً، وأخذ يقارن بين مُتَع الحياة ممثِّلاً لها بعروس هو لها محب، أو بغلام بُشِّر به، والجهاد في سبيل الله، فيرى في هذا متعته وقرة عينه، قال رضي الله عنه: ((ما من ليلة يُهدَى إليّ فيها عروساً أنا لها محب، أو أُبشَّر فيها بغلام، أحب إلي من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سرية أصبِّح فيها العدو)) [3].

وقال عمرو بن عتبة بن فَرقْد: ((سألت الله عز وجل ثلاثاً فأعطاني اثنين، وأنا انتظر الثالثة: سألته أن يزهِّدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر، وسألته أن يقوِّيني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها)) [4].

تأمل كيف كانوا يسألون الله التوفيق لأداء الشعائر التعبدية والجهاد في سبيل الله ونيل الشهادة على حد سواء، وقارن بين هؤلاء وأهل الزوايا الذين لا يبالون أرتفعت راية الحق أم راية الباطل ؟ ويكتفون بترديد بعض الهمهمات التي يزعمون أنها ذكر لله، وطغاة الباطل يقودون البشر إلى عبادة غير الله، أهؤلاء عُبَّاد لله فعلاً ؟!؟ انظروا هذا الجهاد فالزموه !

عن جرير بن حازم قال: سمعت الحسن يقول: ((لما حضر الناس باب عمر وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وتلك الشيوخ من قريش، فخرج آذنه، فجعل يأذن لأهل بدر، لصهيب وبلال،

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٦.
(٢) الجهاد لابن المبارك ٦٦/١.
(٣) الجهاد لابن المبارك ٩١/١.
(٤) الجهاد لابن المبارك ١١٢/٢.

وأهل بدر، وكان والله بدرياً، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم))، فقال أبو سفيان: " ما رأيت كاليوم قط، إنه يؤذن لهذه العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا!! " فقال سهيل بن عمرو – ويا له من رجل ما كان أعقله – " أيها القوم، إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لمَا سبقوكم به من الفضل فيما لا ترون أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسونهم عليه، ثم قال: أيها القوم، إن هؤلاء القوم سبقوكم بما ترون فلا سبيل لكم – والله – إلى ما سبقوكم إليه، وانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم شهادة، ثم نفض ثوبه فلحق بالشام، فقال الحسن: ((صدق – والله – لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه)) [١].

وكان كبار الصحابة رضي الله عنهم يغزون وقد شاخوا، فيشفق عليهم الناس، وينصحونهم بالقعود عن الغزو، لأنهم معذورون، فيجيبونهم أن سورة التوبة تأبى عليهم القعود، ويخافون على أنفسهم من النفاق إذا ما تخلَّفوا عن الغزو.

عن جُبَير بن نُفَير قال: ((جلسنا إلى المقداد بن الأسود بدمشق وهو يحدِّثنا وهو على تابوت ما به عنه فضل، فقال له رجل: لو قعدتم العام عن الغزو ؟ قال: أبت البحوث – يعني سورة التوبة – قال الله تبارك وتعالى﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ قال أبو عثمان: " بحثت المنافقين "))[٢].

قال ابن قدامة: ((قال الأشرم: قال أحمد: لا نعلم شيئاً من أبواب البر أفضل من السبيل. وقال الفضيل بن زياد: سمعت أبا عبد الله – وذُكر له أمر العدو – فجعل يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفضل منه. وقال عنه غيره: ليس بعد لقاء العدو شيء. ومباشرة العدو بنفسه أفضل الأعمال والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن حريمهم فأي عمل أفضل منه ؟ الناس آمنون وهم خائفون، قد بذلوا مهج أنفسهم)) [٣].

(١) الجهاد لابن المبارك ١/٨٥-٨٦.
(٢) الجهاد لابن المبارك ١/٨٨.
(٣) المغني ٩/١٩٩.

وقال السرخسي: ((وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة يخرج وتارة يبعث غيره، حتى قال: ((وددت ألا تخرج سرية أو جيش إلا وأنا معهم، ولكن لا أجد ما أحملهم ولا تطيب أنفسهم بالتخلُّف عني)) [١]، ((ولوددت أن أقاتل في سبيل الله تعالى حتى أقتل ثم أُحيا ثم أقتل)) [٢]

ففي هذا دليل على أن الجهاد والشهادة في سبيل الله من أعلى فضائل الأعمال عند الله ، حتى تمنى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع درجة الرسالة. والآثار في فضيلة الجهاد كثيرة وقد سمّاها الرسول صلى الله عليه وسلم(سنام الدين) [٣].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التمني باب تمني الشهادة ١٠٣٠/٣.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التمني باب ما جاء في التمني ومن تمنى الشهادة ٢٦٤١/٦.
(٣) المبسوط ١٢٣/٦.

المبحث الثاني : أهداف الجهاد في سبيل الله

أهداف الجهـاد وغايتـه

لم يشرع الجهاد عبثا، ولا لتحقيق أهداف شخصية، أو مطامع مادية، أو مطالب سياسية، أو لبسط نفوذ وتوسيع الرقعة، ولا لإزهاق النفوس وسفك الدماء، والتسلط على الناس واستعبادهم، وإنما شرع لأهداف جليلة، وغايات نبيلة، نذكر بأهمها بعد ذكر هدفه الأساسي :

أما هدفه الأساسي: فهو تعبيد الناس لله وحده، وإعلاء كلمة الله في الأرض، وإظهار دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

قال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ﴾[1]

وقال سبحانه ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ ﴾[3].

وقال صلى الله عليه وسلم:(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [4]

إن الهدف الرئيسي هو تعبد الناس لله وحده ، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد ، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً وإخلاء العالم من الفساد ، ذلك لأن خضوع البشر لبشر مثلهم وتقديم أنواع العبادة لهم من الدعاء والنذر والذبح والتعظيم والتشريع والتحاكم ، هو أساس فساد الأجيال المتعاقبة من لدن نوح عليه السلام إلى يومنا هذا ، وهو إنحراف بالفطرة السوية عما خلقها الله عليه من التوحيد . كما في حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته :" ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كل مال نحلته عبادي حلال ، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٣.
(٢) سورة الأنفال آية ٣٩ .
(٣) سورة الصف آية ٩ .
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ١٥١٢/٣.

فاجتالتهم عن دينهم ، وحرَّمتْ عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً... "[1] .

والدليل على هذا قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ . قال ابن كثير " أمر الله تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة ، أي شرك .....

ويكون الدين لله ، أي يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان "[2]ا.هـ

وقال الشوكاني " فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين لله ، وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله "[3]ا.هـ

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا في دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله "[4]

وعن جبير بن حيّة قال : ندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مُقرِّن حتى إذا كنا بأرض العدو وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً فقام ترجمان فقال : ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة : سلْ عما شئت قال : ما أنتم قال : نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نمصّ الجلد والثرى من الجوع ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين _ تعالى ذكره وجلت عظمته _ إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية وأخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أن من قُتِل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقي منا ملك رقابكم [5] "

وفي حوادث غزوة القادسية " قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه لما بعثه سعد ابن أبي وقاص إلى رستم فدخل ربعي عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير وأظهر اليواقيت

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهله، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤.
(٢) تفسير القرآن الكريم ١/ ٣٢٩ .
(٣) فتح القدير ١/ ١٩١ .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الحياء من الإيمان ١٧/١ .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الخمس باب الجزية ١١٥٢/٣.

واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب ودخل ربعي بثياب صفيقة _ سخيفة رثة _ وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا له : ضع سلاحك فقال :((إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت فقال رستم : ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا له : ما جاء بكم فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله قالوا : وما موعود الله قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي .....)) [١].

وهذا الهدف السامي الرئيسي موضع اتفاق بين علماء الإسلام .

قال الشافعي " فدل كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به من فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران : أحدهما أن يكون بإزاء العدو المخوف على المسلمين من يمنعه والآخر : أن يجاهد من المسلمين من في جهاده كفاية حتى يسلم أهل الأوثان أو يعطي أهل الكتاب الجزية " [٢]أ.هـ

وقال محمد بن الحسن " فرضية القتال المقصود منها : إعزاز الدين وقهر المشركين " [٣]أ.هـ

وقال ابن القيم " والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله ... فإن من كون الدين لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله والرق على رقابهم فهذا من دين الله ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة " [٤]أ.هـ

وقال ابن عبد البر" يقاتل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والغزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " [٥]ا.هـ

وإن هذا الهدف السامي المتضمن لإعلاء كلمة الله وهي الإسلام وإقامة سلطان الله في الأرض وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وإخلاء العالم من الفساد الأكبر الذي هو الشرك وما ينتج عنه

---

(١) البداية والنهاية ٣٩/٧.
(٢) تفسير السعدي٨٩/١ .
(٣) المفردات للإمام الراغب الأصفهاني ٦٢٣-٦٢٤.
(٤) أحكام أهل الذمة لابن قيم ١١١/١ .
(٥) المفردات للإمام الراغب الأصفهاني ٦٢٤.

وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس وبين الإسلام ويُعبِّدونهم لغير الله هو ما يجب أن يسعى إليه المجاهدون في كل مكان وزمان لا تأخذهم في الله لومة لائم .

ومن الأهداف التي تتبع لهذا الهدف الرئيسي :

١- رد اعتداء المعتدين على المسلمين ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[١].

وفي حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ... وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ... وأبعث جيشاً نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك ... "[٢].

قال النووي " إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك معناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده ... " ا.هـ

٢- إزالة الفتنة عن الناس وسواء ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم أو الأوضاع والأنظمة الشركية وما ينتج عنها من فساد في شتى مجالات الحياة أو فتنة الكفار أنفسهم وصدهم عن استماع الحق وقبوله .

٣- حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار وحقيقتها حماية للعقيدة والمنهج وكلما امتد الإسلام إلى أرض وأزال عنها أنظمة الشرك صارت داخلة في الدولة الإسلامية .

٤- قتل الكافرين وإبادتهم ومحقهم كما قَالَ تَعَالَى:﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾[٣]و﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٤].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استشاره رسول الله صلى الله عليه وسلم في أُسارى بدر "والله ما أرى أبو بكر ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن علياً من

---

(١) أهداف الجهاد وغايته ص: ٥١-٦٩.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤ .
(٣) سورة محمد آية ٤.
(٤) سورة الأنفال آية ١٢.

عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم "[1]ا.هـ

و ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ ﴾[2]

وقد قتل أبو جهل على يدي شاب من الأنصار ثم بعد ذلك وقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال " لقد رقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم " ثم حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفى الله به قلوب المؤمنين قال الحافظ ابن كثير " كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتفه والله أعلم "

٥- إرهاب الكفار وإخزاؤهم وإذلالهم وإيهان كيدهم وإغاظتهم كما ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾[3]

وفي حديث أم مالك البهزية قالت : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقر بها قلت : يا رسول الله من خير الناس فيها قال :" رجل في ماشيته يؤدي حقها ويعبد ربه ورجل آخذ برأس فرسه يخيف العدو ويُخوفونه "[4] .

قال ابن القيم " ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له".

وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه أحدها قوله تعالى :﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴾[5]

سمى المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مراغماً يراغم به عدو الله وعدوه والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن

---

(١) أهداف الجهاد وغايته ص:٥٨ .
(٢) سورة التوبة الآيتان ١٤- ١٥.
(٣) سورة الأنفال آية ٦٠.
(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة ٤٧٣/٤.
(٥) سورة النساء آية ١٠٠.

رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1] **وقال – تعالى – في مثل رسول الله وأتباعه:** ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[2][3] اهـ

هذه بعض الأهداف :

وللجهاد أهداف سامية ومصالح كريمة وفوائد عظيمة تتحقق للمسلمين في ذرات أنفسهم متى مارسوا الجهاد ومنها :

١- كشف المنافقين: فإن المسلمين في حال الرخاء والسعة ينضاف إليهم غيرهم ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية وهم لا يريدون رفع كلمة الله على كلمة الكفر وقد يتصنعون الإخلاص فيخفى أمرهم على كثير من المسلمين وأكبر كاشف لهم هو الجهاد .

فهو يبذل فيه أغلى ما يملك غير عقيدته وهو روحه والمنافق ما نافق إلا ليحفظ روحه والله تعالى يقول﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾

والمنافقون هم العدو الداخلي وكثيراً خطرهم يفوق العدو الخارجي فإذا عرفوا منعوا من الغزو مع المسلمين ولا يستمع المسلمون لما يعرضونه عليهم من أراجيف وتثبيط ومن أقاويل يلبسونها ثياب النصح والإصلاح .

وواجب المؤمنين حينئذ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾[4]

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٠.
(٢) سورة الفتح آية ٢٩.
(٣) مدارج السالكين ٢٦٦/١.
(٤) سورة التحريم آية ٩.

٢- تمحيص المؤمنين من ذنوبهم : كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (١)

قال ابن كثير " وليمحص الله الذين آمنوا أي يكفر عنهم من ذنوبهم إن كان لهم ذنوب وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به وقوله " ويمحق الكافرين أي فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم ". (٢)

٣- تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس إذ الركون إلى الراحة والدعة وعدم ممارسة الشدائد والصعاب تورث العبد ذلاً وخمولاً وتشبثاً بمتاع الحياة الدنيا وهكذا خوض المعارك ومقاومة الأعداء والتعرض لنيل رضا الله في ساحات الوغى يصقل النفوس ويهذبها ويذكرها بمصيرها ويوجب لها استعداداً للرحيل حتى تصبح ممارسة الجهاد عادة لها تشتاق لها كما يشتاق الخاملون للقعود والراحة . (٣)

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٤٠-١٤١.
(٢) تفسير القرآن الكريم ٥٤١/١.
(٣) الخلاصة في أحكام أهل الذمة :علي بن نايف الشحود ٣٦٣/٣.

الفصل الثالث

أنواع الجهاد في سبيل الله

المبحث الأول : الجهاد المعنوي

القسم الأول: الجهاد المعنوي.

القسم الثاني: الجهاد المادي، وتحت كل قسم منهما أقسام أيضاً.

وحيث أن الجهاد المعنوي هو أساس الجهاد المادي

المبحث الأول: جهاد النفس

وفيه فرعان:

الفرع الأول: ذكر مخاطر النفس وأدوائها وأعوانها.

الفرع الثاني: جهاد النفس وأعوانها.

الفرع الأول: ذكر مخاطر النفس وأدوائها وأعوانها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

بيان أن النفس الإنسانية هي موضوع الكتاب والسنة،وإن الله عز وجل الخالق الخبير، هو وحده الذي يعلم أغوار النفس الإنسانية والتواءاتها، وإن الإنسان ليجهل من نفسه أكثر مما يعلم منها، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ وإن الإنسان ليتمنى-بعد أن تحققت له هدايته من الضلال في الدنيا-أن يسلك الطريق المستقيم بعد أن عاين مقر عذابه الدائم بسبب بعده عن الله وتكذيبه بآياته، ولكن الخالق يعلم منه ما خفي على نفسه، كما قال تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١)

وقد أنزل الله هذا القرآن من أجل هذه النفس التي يصفها تارة بالإيمان والعمل الصالح الذي يترتب عليه الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (٢)

وتارة بالاطمئنان بالإيمان بالله وبذكره والعمل الصالح له، وبما أعد الله لها من الكرامة في الدار الآخرة، والرضا بكل ذلك كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾(٣)

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ٢٧– ٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآيات ١–٥ .

(٣) سورة الفجر ٢٧ الآيات – ٣٠ .

وتارة بالعناد والصدود وعدم الاستجابة للحق، مهما كانت الدعوة إليه واضحة مقنعة، وذلك حين يختم عليها، فلا يدخل إليها خير، ولا يخرج منها شر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾[1]

وتارة بأنها أمارة بالسوء، أي دأبها الإكثار والإلحاح على صاحبها في أن يعمل المنكر القبيح: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾[2]

وتارة يصفها بالخداع والغش والمراوغة والنفاق والمرض والفساد: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ الآيات إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٠ ﴾[3]

وتارة يصفها بأنها كثيرة التحرج من فعل الشر وترك الخير، وأنها تلوم صاحبها على ذلك باستمرار، كما قال تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ ﴾[4]

وتارة يُذَكِّرها بحقارتها وكبريائها ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾[5]

وتارة يذكر تعالى أنه قد أقام عليها الحجة، فلم يبق لها عذر في تمردها وعصيانها: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ ، ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ ﴾

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٦– ٧.

(٢) سورة يوسف آية ٥٣ .

(٣) سورة البقرة الآيات ٨– ٢٠ .

(٤) سورة القيامة الآيتان ١– ٢ .

(٥) سورة يس آية ٧٧ .

وتارة يصفها بالظلم والجهل ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[1]

وإذا كان الله هو خالق هذه النفس وهو أعلم بها منها، وقد أراد لها شرعاً أن تقوم بالخلافة في الأرض، وبين لها طريق الخير وطريق الشر بما فطرها عليه من معرفة الحسن والقبيح، فإنه لم يدعها لذاتها تتخبط في هذه الحياة دون هداية وبيان، بل أرسل إليها الرسل وأنزل الكتب لبيان ما يصلحها، ويجعلها مصلحة مرشدة تعمر الأرض بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح وآخر كتاب نزل هو أكمل الكتب المهيمن على كل الكتب السماوية السابقة، وهو (القرآن) وآخر رسول، وهو (محمد) رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفضل من نزل عليه جبريل في الأرض، وفي هذا الكتاب هداية لأقوم سبيل، وفي هذا الرسول نور وهداية وخير، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[2] ، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[3]

ولذلك أمرها ونهاها ورغبها ورهبها وبين لها ما ينفعها وما يضرها في الدنيا والآخرة.

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة في حقيقة الأمر، ما موضوعهما إلا النفس الإنسانية، في حال انفرادها أو اجتماعها، في سلمها وحربها، وفي عسرها ويسرها، وفي حال رضاها وسخطها، وفي ثوابها وعقابها، وفي كل حالة من حالاتها.

وليفتح من يريد أن يعلم ذلك علم اليقين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ليرى أن هذه النفس هي المقصودة بكل كلمة، وكل أمر ونهي، وكل ترغيب أو ترهيب، وثواب أو عقاب، أو غير ذلك.لذلك فإن خطر هذه النفس عظيم وأمرها جسيم.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧٢.

(٢) سورة الإسراء آية ٩.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥-٤٦.

المطلب الثاني

القرآن يصف النفس ويبين خطرها :

وإن الذي علم أن هذا القرآن إنما أنزل لهذه النفس: يصفها، ويرشدها ويثيبها ويعاقبها، لهو أولى من يصفها -بعد كتاب الله وسنة رسوله- وهو كذلك أدرى – بعد الله ورسوله – بعللها وأدوائها وعلاجها، وتأمل هذه الجمل التي يصفها فيها أحد خبراء النفس هذه النفس:

"فالنفس جبل عظيم، شاق في طريق السير إلى الله عز وجل، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلا بد أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير لمن يسره الله عليه، وفي ذلك الجبل أودية وشعاب وعقبات ووهود، وشوك وعوسج وعليق وشرق، ولصوص يقطعون الطريق على السائرين لا سيما أهل الليل المدلجين، فإذا لم يكن معهم عُدَد الإيمان ومصابيح اليقين تتقد بزيت الإخبات، وإلا تعلقت بهم تلك الموانع، وتشبثت بهم تلك القواطع، وحالت بينهم وبين السير، فإن أكثر السائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته.

والشيطان على قُلَّة ذلك الجبل، يحذر الناس من صعوده وارتفاعه ويخوفهم منه، فيتفق مشقة الصعود وقعود ذلك المخوف على قتله، وضعف عزيمة السائر ونيته، فيتولد من ذلك الانقطاع والرجوع والمعصوم من عصمة الله.

وكلما رقِيَ السائرُ في ذلك، اشتد صياح القاطع وتحذيره وتخويفه، فإذا قطعه وبلغ قلته، انقلبت تلك المخاوف كلهن أماناً، وحينئذ يسهل السير وتزول عنه عوارض الطريق ومشقة عقباتها، ويرى طريقاً واسعاً آمناً يفضي به إلى المنازل والمناهل، وعليه الأعلام وفيه الإقامات قد أعدت لركب الرحمن، فبين العبد وبين السعادة والفلاح قوة وعزيمة وصبر ساعة وشجاعة نفس وثبات قلب، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" (١).

ويصفها في مكان آخر بالجهل والظلم، وأنها منبع كل شر ومأوى كل سوء، وأن العبد لا خلاص له من شرها إلا باللجوء إلى خالقها، قال: "ويفيده نظره إليها – أي يفيد الإنسان نظره إلى النفس الأمارة بالسوء – أموراً: منها أن يعرف أنها جاهلة، ظالمة، وأن الجهل والظلم يصدر عنهما كل قول وعمل قبيح، ومن وصفه الجهل والظلم، لا مطمع في استقامته واعتداله البتة، فيوجب له ذلك بذل الجهد في العلم النافع الذي يخرجها عن وصف الجهل، والعمل الصالح الذي يخرجها عن

(١) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ٨/٢ لابن القيم.

وصف الظلم، ومع هذا فجهلها أكثر من علمها، وظلمها أعظم من عدلها، فحقيق بمن هذا شأنه أن يرغب إلى خالقها وفاطرها أن يقيها شرها، وأن يؤتيها تقواها ويزكيها فهو خير من زكاها، فإنه ربها ومولاها، وألا يكله إليها طرفة عين، فإنه إن وكل إليها هلك، فما هلك من هلك إلا حيث وُكِلَ إلى نفسه... فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه، علم أنها منبع كل شر ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها، ففضل من الله من به عليها، لم يكن منها،كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[2] فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها، ولكن هو الله الذي من بهما..."[3].

ويصف ابن تيمية خطر هواها على صاحبه، وأنه لا يثبت على حال واحدة، بل إن ما يزعم أنه حق يدعو إليه، ينقلب عنده باطلاً يعارضه ويحاربه، وما يزعم أنه باطل يدعو إلى تركه ويظهر قبحه، ينقلب عنده حقاً يدعو إليه ويحارب من يكره.

قال رحمه الله: "والناس هنا ثلاثة أقسام: قوم لا يقومون إلا في أهواء أنفسهم، فلا يرضون إلا بما يُعْطَونه، ولا يغضبون إلا لما يحرمونه، فإذا أعطي أحدهم ما يشتهيه من الشهوات الحلال والحرام، زال غضبه وحصل رضاه، وصار الأمر الذي كان عنده منكراً – ينهى عنه ويعاقِب عليه ويَذُم صاحبَه ويغضب عليه – مرضياً، وصار فاعلاً له وشريكاً فيه، ومعاوناً عليه ومعادياً لمن نهى عنه وينكر عليه، وهذا غالب في بني آدم يرى الإنسان ويسمع ما لا يحصيه. وسببه أن الإنسان ظلوم جهول فلذلك لا يَعدِل، بل ربما كان ظالماً في الحالين، يرى قوماً ينكرون على المتولي ظلمه لرعيته واعتدائه عليهم، فيرضي أولئك المنكرين ببعض الشيء، فينقلبون أعواناً له، وأحسن أحوالهم أن يسكتوا عن الإنكار عليه، وكذلك تراهم ينكرون على من يشرب الخمر ويزني ويسمع الملاهي، حتى يدخلوا أحدهم معهم في ذلك، أو يرضوه ببعض ذلك، فتراه قد صار عوناً

(١) سورة النور آية ٢١ .
(٢) سورة الحجرات آية ٧ .
(٣) مدارج السالكين ٢٢٠/١.

لهم، وهؤلاء قد يعودون بإنكارهم إلى أقبح من الحال التي كانوا عليها، وقد يعودون إلى ما هو دون ذلك أو نظيره" [1] .

ويصف النفس بأنها أعظم خطراً من غيرها، لأنها ملازمة لصاحبها متصلة به لا تفارقه، فهي تأمره من داخله، وتحول بينه وبين الخير من داخله كذلك، فلا فكاك له منها.

قال: "ولهذا يبقى الإنسان عند شهوته وهواه، أسيراً لذلك مقهوراً تحت سلطان الهوى أعظم من قهر كل قاهر – أي من المخلوقين – فإن هذا القاهر الهوائي القاهر للعبد هو صفة قائمة بنفسه لا يمكنه مفارقته البتة.. بخلاف كل قاهر ينفصل عن الإنسان، فإنه يمكنه مفارقته مع بقاء نفسه على حالها، وهذا إنما يفارقه بتغير صفة نفسه"[2].

ويصف الإنسان في موضع آخر بأنه عبد هوى نفسه، يوالي من أجلها ويعادي من أجلها كذلك، قال: "فالنفس مشحونة بحب العلو والرياسة، فتجد أحدهم يوالي من يوافقه على هواه، ويعادي من يخالفه في هواه، وإنما معبوده ما يهواه ويريده، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [3]" .

(١) الفتاوى ١٤٧/٢٨.
(٢) الفتاوى ٥٨٧/١٠.
(٣) الفتاوى ٣٢٤/١٤.

المبحث الثاني : جهاد الدعوة إلى الله

إن المسلم الذي ينعم الله عليه بالفقه في الدين والعمل به في نفسه، ويوفقه لتربية أسرته على مبادئه وأحكامه وأخلاقه، فيذوق حلاوته وينعم بهديه، إن هذا المسلم لا ينبغي أن يستقر له قرار حتى يسعى جاهداً في تبليغ هذا الدين إلى الآخرين، ليتمتعوا به، كما تمتع به هو وأسرته وتطمئن به قلوبهم وأنفسهم كما اطمأن به.

وهل يظن عاقل في الأرض أن رجلاً عاقلاً سليم الفطرة أعمى البصر، له زملاء عمي الأبصار، ثم تيسر له من قام بعلاجه، فأنعم الله عليه بنعمة الإبصار، فرأى عجائب هذا الكون، من سماوات وأرض وحيوان ونبات وجبال وأنهار وغير ذلك مما لم يكن يتوقع أن يراه يوما من الأيام.

هل يظن عاقل في الأرض أن يتردد هذا الرجل الذي أبصر بعد عمى، في أن يدل زملاءه العُمْيَ على ذلك الطبيب ليعالجوا أنفسهم عنده، فينعموا بما نعم به هو؟ كلا.

وهكذا فإن المؤمن الذي ذاق حلاوة الإيمان واستظل في ظلال الإسلام، لا يمكن أن يقر له قرار أو تطمئن نفسه، إلا إذا بلَّغ الناسَ هذا الدين، وشرح لهم محاسنه، وبين لهم مفاسد الكفر وأخذ بأيديهم إلى جنات النعيم.

قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]

ولهذا كان الرسل الذين بعثهم الله للدعوة إليه، يجاهدون غاية الجهاد لتبليغ الناس دينَ الله وتحبيبه إليهم، وتنفيرهم من الكفر به، وتخويفهم عذاب ربهم إن هم بقوا على كفرهم: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2]

والقرآن الكريم مليء بدعوة الرسل وجهادهم في ذلك، من نوح إلى محمد صلى الله عليهم وسلم، والمقام مقام تنبيه على نوع من أنواع الجهاد واضح وهو لا يحتمل التفصيل.

إلا أنه لا بد من الإشارة إلى ما عاناه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهاد في سبيل نشر الدعوة.

---

(١) سورة فصلت آية ٣٣.

(٢) سورة النحل آية ٣٦ .

قال ابن كثير رحمه الله: نقلاً عن ابن إسحاق ((قال ابن إسحاق ثم قدم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله عز وجل ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به)) [1] .

وبينما كان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في المواسم ويدعوهم إلى الله،كانت قريش تحاول صده بكل وسيلة: وسيلة الإغراء بالسيادة والملك، ووسيلة المال، ووسيلة التشكيك في صحة عقله صلى الله عليه وسلم، فقد جاءه وفد منهم فخاطبوه قائلين:"فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك.... بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك."

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت، لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر على أمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ")) [2] .

وعندما لم ينفعهم الإغراء، اتبعوا وسيلة التهديد والإيذاء، ولكنهم أيضا باءوا بالفشل كذلك، لأن الرسالة أعظم من أن ينحني صاحبها أمام أي وسيلة، وهكذا كان رجال الدعوة أيضا يقومون بتبليغ رسالة الله، وينالهم ما ينالهم وهم صامدون لا يلتفتون يسرة ولا يمنة عن صراط الله المستقيم.

فهذا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، يفد إلى مكة ليلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتدسس حتى يلقاه ويسمع منه، فيسلم وتتحرك مشاعر لا إله إلا الله محمد رسول الله في نفسه، في نفس اللحظة التي نطقت بها لسانه، فخرج إلى مجتمع قريش وهو رجل غريب بينهم بعيد الدار والقبيلة، فصدع بكلمة التوحيد ونال ما نال من الأذى في سبيل الله، ثم عاد مرة أخرى مستعذباً صراخه بها بين أعداء الله وإيذاءهم إياه في سبيلها.

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما – وفيه -: "حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، ودخل معه -أي مع علي رضي الله عنه- فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((ارجع إلى قومك فاخبرهم حتى يأتيك أمري)).

---

(١) البداية ١٣٨/٣.
(٢) سيرة ابن هشام ـ الروض الأنف ١٢٣/٣.

قال: "والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه، قال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه.. " [1]

ما سبب هذه السرعة في الصدع بـ(لا إله إلا الله) بين ظهراني المشركين، من رجل دخل تواً في الإسلام، غريبَ الديار بعيدا عن الناصر من القبيلة، ولم يؤمر بما فعل من قِبَلِ الرسول صلى الله عليه وسلم، بل إنه صلى الله عليه وسلم أمره بالرجوع إلى قبيلته لإخبارهم بالإسلام، حتى يأتيه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه بمجرد إبصاره شمس الإسلام، أخذ يصرخ في العميان ليبصروها كما أبصرها.

هذا هو المسلم الحق الذي لا يقر له قرار، حتى يدعو إلى إسلامه الضالين، دون مبالاة بما يناله منهم، لشدة رغبته في هدايتهم وإشفاقه عليهم، ورجائه ثواب الله على جهاد دعوته.

ومن أعظم أنواع جهاد الدعوة نصح زعماء المسلمين، لا سيما أهل الجور منهم الذين يستضعفون الناس ويظلمونهم ويستبدون بالأمر دونهم، فإن في نصحهم مخاطرة لا يقدم عليها إلا ذوو العزم من الرجال الذين بذلوا نفوسهم لله سبحانه، إذ قد يتعرض الناصح لأذاهم من سجن وتعذيب، بل وقتل وانتهاك عرض واغتصاب أموال وغير ذلك.

وهذا دأب أمراء السوء الذين لا يتقيدون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا جاء عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) أو (أمير جائر)) [2] .

قال الإمام الغزالي رحمه الله: ((ولما علم المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد، كما وردت به الأخبار قدموا على ذلك موّطنين

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ١٤٠١/٣ وفتح الباري ١٧٣/٧ وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر ١٩٢٣/٤.
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي ، باب الأمر والنهي ٥٢٧/٢. والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ٤٧١/٤ وقال: " وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"

أنفسهم على الهلاك، ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله، ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله)) [١] .

وعلى المجاهد في سبيل الله - إذا وقف أعداء الله في طريق دعوته، ولم يستجيبوا له، ومنعوه من إبلاغ الدعوة إلى الناس جهراً - عليه أن يسلك بدعوته مسلك الدعوة السرية في تربية الرجال المستجيبين، وإعدادهم بعيداً عن أعين الصادين المكابرين، حتى لا يشعروا بتربيته وإعداده، قبل أن تنتشر دعوته في صفوف المستجيبين له انتشاراً يجعل أعداء الله عاجزين عن الوقوف في وجهها، بل ليجعل دعاة الخير قادرين على القضاء على أعداء الله وتشتيت شملهم وإسقاط عروشهم، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان يدعو قريشا ويؤذى في سبيل الله ويمتحن هو وأصحابه، ولكنه يعد جنود الجهاد في صمت وسكوت.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقال أبو الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ: من يؤمنني ومن يؤويني ومن ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة؟ فلا يجد أحداً ينصره ولا يؤويه، حتى إن الرجل ليرحل من مصر أو اليمن إلى ذي رحمه فيأتيه قومه فيقولون له: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم يدعوهم إلى الله وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، وبعثنا الله إليه فأتمرنا واجتمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدنا بيعة العقبة فقال له عمه العباس: يا ابن أخي ما أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك؟ إني بمعرفتي بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال هؤلاء قوم لا نعرفهم هؤلاء أحداث. فقلنا يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: "على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على أن تقوموا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة" [٢] .

ولقد ضاق مفهوم الدعوة عند كثير من الناس، فأصبحوا لا يفهمون منها إلا أنها وعظ وإرشاد في المساجد أو في الاجتماعات الطارئة، أو توزيع بعض الكتب والرسائل. وهذا لا شك من الدعوة إلى الله، وكان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم، كما مضى من عرضه نفسه على الناس في

---

(١) إحياء علوم الدين ٣٤٣/٢.
(٢) زاد المعاد ٥٦/٢.

المواسم، وكذلك بعثه الكتب إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الله تعالى، ولكن ذلك كما مضى جزء من وسائل الدعوة وليس كل وسائلها.

ومن تأمل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، علم أنه كان يتخذ لكل موقف ما يناسبه في دعوته، فإذا كان الموقف يستدعي الحجة والبرهان أعطاه الحجة والبرهان، وإذا كان الموقف يقتضي الموعظة الحسنة أدى ذلك في ذلك الموقف.

ولكنه عليه السلام كان يعلم أن ذلك لا يكفي وحده في كل المواقف، لأن أعداء الله لا يمكن أن يقفوا عن معارضة الدعوة وصد الدعاة وإيذائهم، وأنهم لو قدروا على القضاء عليهم، لما ترددوا في ذلك لحظة من اللحظات، ولذلك كان يواجه تلك المواقف كلها بما يكافئها، وكان في الوقت الذي لا يقدر على المواجهة يعد رجاله للقوة والمبارزة، كما مضى فيما ساقه ابن القيم قريباً عن جابر.

وقال سيد قطب رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[1]

"هذا هو منهج الدعوة ودستورها، ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة، فأما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير، فالاعتداء عمل مادي يدفع بمثله، إعزازاً لكرامة الحق ودفعاً لغلبة الباطل، على ألا يتجاوز الرد على الاعتداء حدوده إلى التمثيل والتقطيع.فالإسلام دين العدل والاعتدال، ودين السلم والمسالمة، إنما يدفع عن نفسه البغي ولا يبغي: ((وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)) وليس ذلك بعيداً عن دستور الدعوة فهو جزء منه. والدفع عن الدعوة في حدود القصد والعدل، يحفظ لها كرامتها وعزتها، فلا تهون في نفوس الناس، والدعوة المهينة لا يعتنقها أحد، ولا يثق أنها دعوة الله، فالله لا يترك دعوته مهينة لا تدفع عن نفسها، والمؤمنون بالله لا يقبلون الضيم وهم دعاة لله، والعزة لله جميعاً، ثم إنهم أمناء على إقامة الحق في هذه الأرض، وتحقيق العدل بين الناس، وقيادة البشرية إلى الطريق القويم، فكيف ينهضون بهذا كله وهم يعاقَبُون فلا يعاقِبُون؟ ويُعتَدى عليهم فلا يردون..؟" [2] .

(١) سورة النحل آية ١٢٥.
(٢) في ظلال القرآن ٢٢٠٢/١٤.

الفصل الرابع

مسوغات الجهاد في سبيل الله

المبحث الأول : حكم الجهاد في سبيل الله

في حكم الجهاد عند العلماء ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه فرض كفاية ، وفرض الكفاية هو الذي لا يتعلق بكل مكلف من المسلمين عينا ، وإنما الفرض القيام به قياما كافيا من طائفة منهم ، فإذا قامت به طائفة كافية سقط فرضه عن غيرها ، وإن لم تقم به طائفة قياما كافيا ، كان فرضا على جميع المسلمين أن يخرجوا منهم من يكفي قيامهم به ، ولو لم يكف إلا المسلمون جميعا وجب عليهم القيام به جميعا ، ويأثمون كلهم بتركه ، فيصبح في هذه الحالة فرض عين لا فرض كفاية . وعلى هذا القول عامة المذاهب وجمهور علماء المسلمين .

وقد استدل أهل هذا القول بالقرآن والسنة من وجهين :

الوجه الأول : ورود نصوص دالة بعمومها على وجوب الجهاد .

الوجه الثاني : ورود نصوص تدل على أن ذلك الوجوب كفائي وليس عينيا .

١- النصوص الدالة على الوجوب بعمومها

أ – من القرآن :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة التوبة آية٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٦ .

وقولـه تعـالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[1]

وقولـه تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[2] وقولـه تعـالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[3] وقولـه تعـالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[4] .

ب ـ من السنة :

من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الجهاد واجب مع كل أمير ، برا كان أو فاجرا)[5]

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم)[6]

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٩٠- ١٩٣.
(٢) سورة التوبة الآيتان ٣٨ – ٣٩.
(٣) سورة التوبة آية ٤١.
(٤) سورة التوبة آية ٣٦.
(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب في الغزو مع أئمة الجور ٢٢/٢ .
(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو ١٣/٢ وهو حديث صحيح .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)[1]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا .

قالوا : هذه النصوص واضحة في أن الجهاد فرض يأثم المسلمون بتركه ، لأنها وردت بصيغ لا تحتمل إلا ذلك ، كصيغ الأمر في قوله (فاقتلوا المشركين)،(وقاتلوا في سبيل الله)، (واقتلوهم حيث ثقفتموهم)،(فإن قاتلوكم فاقتلوهم) ،((والكفار لا يكفون عن قتال المسلمين إلا لضعف طارئ أو خضوع المسلمين لهم)) (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)،(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا ...) .

وصيغة التوبيخ والإنكار كما في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ ﴾[2] .

هذا هو الوجه الأول من الاستدلال بالنصوص على أن الجهاد فرض لازم ، وهي واضحة في الدلالة على المراد .

أما الوجه الثاني الدال على أن فريضة الجهاد فرض كفاية ، وليست فرض عين

الوجه الثاني الدال على أن الجهاد فرض كفاية وليس فرض عين .

النصوص التي ذكرت في الوجه الأول دلت دلالة عامة على أن الجهاد فرض ، وقد وردت نصوص أخرى تدل على أن هذه الفريضة كفائية وليست عينية ، والقياس يقتضي ذلك أيضا .

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ١٥١٧/٣ .
(٢) سورة التوبة آية ٣٨ .

أولا : الأدلة من القرآن الكريم :

من ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١)

ودلالة الآية على المقصود من وجهين : الوجه الأول : في قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أي ما صح ذلك ولا استقام أن يهب جميع أفراد المؤمنين القادرين على الجهاد للغزو ، لما في ذلك من ضياع من وراءهم من العيال ، ومن ترك السعي للرزق وحرث الأرض وعمارتها التي لا يتم الجهاد إلا بها .

سواء فسر الفريق المتفقه في الدين بالنافرين للجهاد ، أم بالمقيم في البلد .

الوجه الثاني من دلالة الآية ، يؤخذ من قوله تعالى : فلولا نفر من كل فرقة طائفة منهم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ((فإنه ظاهر بأن الله تعالى كما نفى في أول الآية أن ينفر المسلمون للجهاد كافة ، حض في آخرها على أن ينفر من كل جماعة من المسلمين طائفة لتقوم الطائفة النافرة بفرض الجهاد الذي يسقط عن الباقية ، وتقوم الباقية بالمصالح التي لا بد منها ...))

- وقوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢)

ودلالة الآية على أن الجهاد فرض كفاية واضحة ، لأن الله فضل المجاهدين على القاعدين بدون عذر ، ووعدهم جميعا بالحسنى ، فالقاعد عن الجهاد بدون عذر لا يأثم إذا قام به غيره قياما كافيا ، ولم يستنفره ولي الأمر . وقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

(١) سورة التوبة آية ١٢٢.
(٢) سورة النساء آية ٩٥.

عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1] والجهاد قمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما فرض كفاية.

ثانيا : الأدلة من السنة على أن الجهاد فرض كفاية:

١- من السنة القولية : من ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا إلى بني لحيان من هذيل ، فقال : ((لينبعث من كل رجلين أحدهما ، والأجر بينهما)) وفي رواية : ((وليخرج من كل رجلين رجل)) ثم قال للقاعد : ((أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج))[2] .

فالحديث صريح في أن الجهاد ليس فرضا على الأعيان ، بل هو فرض كفاية ، وإلا لما قال : ((لينبعث من كل رجلين أحدهما)) ولما أثبت للقاعد الذي يخلف الخارج أجرا (والأجر بينهما))

ومن ذلك حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلفه في أهله وماله بخير فقد غزا)[3]

٢- السنة الفعلية :

فقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج في الغزوات تارة ، ويبقى في المدينة تارة ، ويؤمر غيره على الغزوة أو السرية ، كما في حديث بريدة عن ، أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية ، وصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : ((اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ...)) الحديث .[4]

ولم يكن يأمر جميع أصحابه بالخروج ، بل يأمر بعضهم دون بعض ، إلا أ ن يكون نفيرا عاما ،كما في غزوة تبوك . وهذا من أقوى الأدلة على أن الجهاد ليس فرض عين وإنما هو فرض كفاية .

٢- المعنى يقتضي كون الجهاد فرض كفاية .

ومما يدل على أن الجهاد فرض كفاية المعنى الذي شرع له ، وهو إعلاء كلمة الله ، فإذا قامت به طائفة من المسلمين حتى تحقق هذا المعنى فعلت كلمة الله في الأرض ، وقُهِ أعداء الإسلام

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره ١٥٠٧/٣.
(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره ١٥٠٦/٣.
(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ١٣٥٦/٣.

المحاربون له بتلك الطائفة ، فقد حصل المقصود الذي شرع له الجهاد ، فلا محل لجعله فرض عين على كل المسلمين كالصلاة مثلا .

تنبيه مهم :

وهنا لا بد من التنبيه على معنى فرض الكفاية الذي لا يفهم فقهه كثير من الناس ، ولو فقهه المسلمون حق الفقه ، لكان للجهاد في هذا العصر شأن آخر ، غير ما أصيب به المسلمون من ذلة وصغار في كل أنحاء الأرض .

ففرض الكفاية الذي يسقط عن الأمة بقيام طائفة به ، هو أن تكون تلك الطائفة كافية في القيام به ، وليس المراد مجرد قيام طائفة مجاهدة ولو لم يكن جهادها كافيا ، فلا يصح إسقاط الجهاد عن الأمة الإسلامية كلهم بقيام طائفة منهم في جزء من الأرض ، ولو كانت كافية في ذلك الجزء ، مع بقاء أجزاء أخرى ترتفع فيها راية الكفر، فإن كل جزء من تلك الأجزاء يجب على المسلمين القريبين منه أن يجاهدوا – ما داموا قادرين - من حارب الله ورسوله وعباده المؤمنين ووقفوا عقبة لصد الناس عن الدعوة إلى الله حتى يقهروهم ، فإذا لم يقدروا على قهرهم ، وجب على من يليهم من المسلمين أن ينفروا معهم ، وهكذا حتى تحصل الكفاية . ولهذا قال في حاشية ابن عابدين : " وغياك أن تتوهم أن فرضيته (الجهاد) تسقط عن أهل الهند بقيام أهل الروم مثلا ، بل يفرض على الأقرب فالأقرب من العدو إلى أن تقع الكفاية ، فلو لم تقع إلا بكل الناس فرض عينا ، كصلاة وصوم "

قلت : والذي يتأمل أحوال المسلمين مع أعداء الله المحاربين للإسلام ، يجد أن الجهاد اليوم فرض عين على كل قادر عليه من أفراد المسلمين ، وليس فرض كفاية ، لأن بعض طوائف المسلمين التي تقوم بالجهاد ضد عدوان الكفار على أرضها وعرضها ومقدساتها في عقر دارها لا تكفي لقهر عدوها ، بل العدو هو الذي يقهرها ، بل ينصر العدو عليها من يدعي الإسلام ، وما قضية المسلمين في فلسطين بخافية على المسلمين **!!!** [1] .

القول الثاني في حكم الجهاد أنه فرض عين .

وهو رأي سعيد بن المسيب رحمه الله ، وبه قال بعض الشافعية ، وذكره ابن قدامة في المغني ورد عليه ، وذكره ابن رشد عن عبد الله بن الحسن واستدل هؤلاء بأدلة فرض الجهاد المطلقة ، وقد

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٣/٣ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧٠/١١ التفسير الكبير للرازي ٩/١١ والمغني لابن قدامة ١٩٦/٩وبدائع الصنائع .

ذكر كثير منها في القول الأول من الكتاب والسنة ، ومضى ذكر ما عارضها من النصوص الدالة على أنه فرض كفاية ، وبهذا يعلم أن القول الأول هو الراجح ، والله أعلم[1].

القول الثالث : أن الجهاد مندوب .

أي إن الجهاد في سبيل الله ، ليس واجبا عينا ولا كفاية ، ونقل هذا القول عن ابن عمر وعطاء والثوري وابن شبرمة رحمهم الله .

ويفهم من عبارات بعض العلماء أنهم قد يحتجون بدخول التخصيص على النصوص العامة التي تدل على وجوب الجهاد ، لأن النص إذا دخله التخصيص ، يصبح ظني الدلالة فيضعف الاحتجاج به على الوجوب ، فيبقى على الندب .

ولكن هذا الاستدلال في غاية الضعف ، لأن العام إذا دخله التخصيص عند أهل الأصول قصر تخصيصه على بعض أفراده ...وقد حمل بعض العلماء مراد ابن عمر ومن ذكر معه على أنهم أرادوا أن الجهاد ليس بفرض عين ، وإنما هو فرض كفاية ، فإذا قامت به طائفة كافية أصبح في حق غيرها مندوبا .

ولهذا قال الجصاص رحمه الله: " ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو قلت: ((فكيف والمسلمون اليوم يعتدى عليهم في داخل منازلهم ومساجدهم ؟؟!!)) ولم تكن فيهم مقاومة لهم ، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم ، أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين ، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة ، إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم ، ولكن موضع الخلاف بينهم أنه متى ما كان بإزاء العدو مقاومين له ، ولا يخافون غلبة العدو عليهم ، هل يجوز للمسلمين ترك جهادهم حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية ؟ فكان من قول ابن عمر وعطاء وعمر بن دينار وابن شبرمة أنه جائز للإمام والمسلمين أن لا يغزوهم ، وأن يقعدوا عنهم . وقال آخرون : ((على الإمام والمسلمين أن يغزوهم أبدا حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية .)) [2]

قلت : وحمل قول هؤلاء – إذا صح عنهم – على هذا الوجه متعين ، وإلا فلا وجه له ، وكل واحد يؤخذ من قوله ويترك ، غير الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم .

وإذا لم تكن نصوص القرآن والسنة الواردة في فريضة الجهاد ، وإجماع الأمة الإسلامية على مضمونها ، والواقع التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ومن تبعهم بإحسان

---

(١) فتح القدير لابن الهمام ٤٣٩/٥ المغني لابن قدامة ١٩٦/٩ حواشي تحفة المحتاج ٤٣٩/٩ بداية المجتهد ٣٩٦/١ .

(٢) أحكام القرآن ١١٤/٣.

إلى يوم الدين ، إذا لم تكن كافية في الدلالة على أن الجهاد في سبيل الله فريضة ، فأي فريضة بعد ذلك ستثبت بنصوص هي أقل من نصوص الجهاد عددا ، وأضعف دلالة ؟! وعلى هذا فالقول بأن الجهاد مندوب وليس بفرض عين ولا كفاية قول ساقط لا يجوز التعويل عليه ...

وينبغي أن يعلم أن هذا الخلاف إنما هو في الجهاد بمعناه الخاص ، وهو قتال الكفار ، والراجح فيه ما مضى من أنه فرض كفاية .

أما الجهاد بمعناه الشامل الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فإنه فرض عين في الجملة بمعنى أن المسلم لا يخلو في وقت من الأوقات من جهاد واجب عليه ، إذ ليس الجهاد مقصورا على قتال الكفار ، بل يشمل جهاد النفس والهوى والشيطان ، وجهاد الأسرة لاستقامتهم على طاعة الله ، وجهاد كثير من المسلمين الذين لا يلتزمون بطاعة الله بدعوتهم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وتعليمهم أمور دينهم ، وجهاد ولي الأمر بنصحه وإرشاده ، وكلمة الحق عنده ، وإعداد العدة لجهاد العدو الكافر .

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله " ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرما ، ثم مأذونا فيه ، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأمورا به لجميع المشركين ، إما فرض عين على أحد القولين ، أو فرض كفاية على المشهور ، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع "[1] .

ولعل هذا المعنى الذي أشار إليه ابن القيم يفهم من قوله تعالى﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ

(١) زاد المعاد ٢/٦٥ .

ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (١)

فقوله : (جاهدوا في الله حق جهاده) ثم أمره بعد ذلك بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله ، يدل على شمول الجهاد لكل ما كلفه الله عباده .

(١) سورة الحج آية ٧٨ .

المبحث الثاني : الجهاد بين فرض الكفاية و فرض العين

ذهب جمهور العلماء إلى أن الجهاد يندرج فى عداد فروض الكفاية التى إذا ما قام بعض المسلمين بها سقط الوجوب و الإثم عن الباقين ، أما إذا لم يقم بها أحد لحق الإثم بجميع القادرين عليه ، و الجهاد فى ذلك كغيره من فروض الكفاية مثل القضاء و الشهادة و الإفتاء ، تعلم العلم و تعليمه ... إلخ .

لكن ليس معنى ذلك أن الجهاد كفرض من فروض الكفايات لا يصير فرضاً عينياً أبداً ، و أيضاً لا يعنى ذلك أن الجهاد لا يصير فى بعض الحالات ممنوعاً ، لأن الجهاد يتردد بين فرض الكفاية و فرض العين ، كما أنه يتطرق إليه أحكام التكليف الخمسة فتارة يصير واجباً ، و تارة ممنوعاً ، و تارة أخرى جائزاً ، و إن كنا هنا سنتحدث عن تردد الجهاد بين فرض الكفاية و فرض العين فإننا سنؤجل مسألة تطرق الأحكام التكليفية إلى الجهاد لنقطة تالية .

تنقسم الفروض الشرعية إلى فروض عينية و أخرى كفائية

والمقصود بفرض العين هو : ما طلبه الله سبحانه و تعالى من كل فرد مسلم بعينه و أوجبه عليه ، ولا يغنى عنه أن يقوم به أحد سواه وذلك مثل الصلاة والصوم والزكاة .

أما المقصود بفرض الكفاية ، فهو ما طلبه الشارع من الأمة بمجموعها بحيث إذا قام به بعض الناس سقط الفرض عن الباقين ، أما إذا لم يقم به أحد مطلقاً أثم الجميع لتقصيرهم فى أداء هذا الواجب ،

ومن أمثلة فروض الكفاية : البحث العلمى بأنواعه المختلفة ، و الصلاة على الجنازة ، و رد السلام ، و تعلم الصناعات المختلفة ، و القضاء و الشهادة إلى غير ذلك .

لكن يلاحظ هنا عدة أمور :

أ - إن الفرض الكفائى إنما يفترض على من تتوفر فيه الشروط و الأوصاف المطلوبة للقيام به ، فتولى القضاء مثلاً فرض كفاية لكنه لا يتوجه إلا لمن كان مؤهلاً لهذا المنصب بتوفر الشروط المطلوبة للقيام بأعبائه دون غيره من الناس [1].

ب- إن الواجب الكفائى قد يتحول لواجب عينى إذا لم يوجد إلا شخص واحد فقط فى مكان ما فيتحتم عليه شرعاً القيام به ويهمنا الآن تحديد موقع الجهاد بين الفرض الكفائى والعينى بناء على تلك القواعد .

---

(١) تهذيب الموافقات ص ٦٨ .

الأصل عند جمهور العلماء أن الجهاد يندرج فى عداد فروض الكفاية و لكنه قد يتحول فى حالات معينة إلى فرض عينى عندهم جميعاً ، وهو ما يتطلب تحرير القول فى حكم الجهاد أولاً ثم بيان متى يصير فرضاً عينياً .

الحالات التى يصير فيها الجهاد فرضاً عينياً :

أجمع العلماء على أن هناك حالات معينة يتحول فيها حكم الجهاد من كونه فرضاً كفائياً ليصير فرضاً عينياً و هذه الحالات هى :

الأول : أن يستنفر الإمام شخصاً أو جماعة للقتال ، ففى هذه الحالة يتعين الخروج على من طلب الجهاد . و الدليل على ذلك قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل"

وجه الدلالة : أن الله تعالى أنكر تثاقلهم عن الجهاد ، و لو لم يكن متعيناً لما أنكره عليهم .. وما رواه الجماعة إلا أن ابن ماجة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : " لا هجرة بعد الفتح و لكن جهاد و نية و إذا استنفرتم فانفروا " . ووجه الدلالة : من الحديث أن النبى صلى الله عليه و سلم يقول من طلب للجهاد وجب عليه أن ينفر ، وهو معنى الوجوب العينى .

الثانى : أن يدخل العدو بلاد المسلمين ، أو يتغلب على قطر من أقطارها ، فيتعين القتال حينئذ ، و الدليل عليه الإجماع ، لأنه من قبيل إغاثة الملهوف المجمع عليها .

الثالث : عند التقاء الصفين يجب على من حضر القتال و يحرم الانصراف إلا إذا كان متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة والدليل عليه قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار و من يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله و مأواه جهنم و بئس المصير "

فقد نهى الله المؤمنين عن التولى يوم الزحف و توعدهم عليه ، و النهى و التوعد يدل على أن الثبات واجب ، واستفيدت العينية من أداة العموم فى قوله عز و جل " و من يولهم ... "

وتجدر الإشارة إلى أن التفريق بين الجهاد كفرض كفائي أو عيني أمر هام ، لأنه يترتب عليه اختلاف فى بعض الأحكام التفصيلية الخاصة بالجهاد .

فعلى سبيل المثال : لا يصح فى الجهاد الكفائي خروج الولد للجهاد إلا بإذن والديه ، وأيضاً لا يباح للمرأة الخروج إلا بإذن زوجها ، أما فى الجهاد العيني فلا يشترط مثل هذا الإذن .

ويبقى أمر هام ينبغي التنبيه عليه وهو ضرورة التدقيق فى تحديد حكم الجهاد فى واقع ما ، وهل يدخل في الجهاد الكفائي أم العيني ؟ وإذا كان يدخل فى الجهاد العيني فهل تتوفر فيه كافة الشروط المتطلبة لإنفاذه أم لا ؟ و ذلك لأن الجهاد قد يكون فرضاً عينياً كالجهاد من أجل استنفاذ الأسرى المسلمين بأيدى الكفار و لكن شرط القدرة – على سبيل المثال – غير متوفر ، فهنا ينبغى العدول عن إنفاذ مثل هذا الجهاد و يجب السعي لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى بوسائل أخرى .

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَانَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ (١)

فقد ذكر الله تعالى جزءا من ثمار الجهاد في سبيله في هذه الآيات وهي : مغفرة الذنوب((يغفر لكم ذنوبكم)) ومن هنا نسأل ماذا يريد العابد من عبادته والصائم من صيامه والقائم من قيامه ؟؟ ألا يريد أن يغفر الله ذنوبه جزاء لذلك ؟! وهذا ما أعطاه الله تعالى للمجاهد في سبيله دفعة واحدة دون السؤال عن باقي الأعمال .

ثانيا: دخول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار ((ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار)).

ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة ، فبعد الشقاء في الدنيا والتعب والنصب وبعد العمل المتواصل من المؤمن وبعد مغفرة الذنوب !! ألا يريد المؤمن أن يستريح من كل ذلك ؟! ألا يريد دخول الجنان ؟! وهذا ما كفله الله للمجاهد في سبيله.

ثالثا : الإقامة الدائمة والنعيم المقيم في الدرجات العلى من الجنة في جنات عدن ((ومساكن طيبة في جنات عدن)) ، فالمتعة في الجنة دائمة ليست مؤقتة ولا زائلة فالأمر للراحة الأبدية ونسيان الدنيا وعنائها وتعبها ونصبها وهذا أيضا من الله تعالى للمجاهد في سبيله .

هذا كله ما سماه الله تعالى بالفوز العظيم ((ذلك الفوز العظيم)) ، إذ أن الذي يحصل على كل ما سبق من مغفرة الذنوب ودخول الجنات والإقامة فيها إقامة دائمة لا بد وأنه قدم كثير عمل ، غير أن الله وهب ذلك للمجاهد وطلب منه الجهاد فقط !! .

---

(١) سورة الصف الآيات ١٠ - ١٣

ورغم أن هذه الثمار أعطاها الله للمجاهد في الآخرة إلا أنه جل جلاله لم يحرم المجاهد من الفائدة في الدنيا ومن هنا كانت الثمرة التالية .

رابعا : النصر من الله على الأعداء والتمكين للمؤمنين في الدنيا والفتح القريب للمجاهد

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

وهذا أصلا ما تجيشت له الجيوش وأعدت له أسلحة وعتادا وقد اختصر الله تعالى الطريق على المؤمن وأمره بالجهاد فقط وهو جل جلاله يتكفل بما بعد ذلك من نصر وأجر .

وكل ذلك أعده الله تعالى للمؤمن دون غيره فبدأ خطابه تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا ...)) وانتهى بقوله تعالى : ((وبشر المؤمنين)) فالبشرى للذين يقاتلون عن عقيدة وإيمان دون غيرهم.

كل ما هو مطلوب منكم أن تقوموا بفريضة الجهاد وتحصدوا كل هذه الثمار نصرا في الدنيا وفوزا في الآخرة ؛ إلا أنه وبالمفهوم المخالف كل أمة تترك الجهاد في سبيل الله فلن تحصد إلا ذلا في الدنيا وخسارة في الآخرة .

المبحث الثالث : الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه

ترك الجهاد مع القدرة عليه كبيرة من كبائر الذنوب، بل لا خلاف بين العلماء على أن أي طائفة امتنعت عن جهاد الكفار أو ضرب الجزية عليهم تجاهد هي بذاتها حتى ترجع إلى الصواب وتلتزم هذه الفريضة المحكمة التي ورد بها الكتاب والسنة والإجماع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأيما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات أو الصيام... أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها التي يكفر الجاحد لوجوبها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتَلُ عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء..." (٢)

وقد وردت نصوص كثيرة تحذر من ترك الجهاد وتبين عواقب تركه وتصف الناكلين عنه بأقبح الأوصاف، وإليك بعضاً منها:

---

(١) سورة الصف آية ١٣.
(٢) الفتاوى ٥٠٣/٢٨.

١- ترك الجهاد سبب للهلاك في الدنيا والآخرة، أما هلاك الدنيا فبالذلة والاستعباد وتسلط الكفار عليهم، وأما هلاك الآخرة فمعلوم،: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (١)

قال أسلم بن عمران: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال أناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار نجياً فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما، فنزل فينا ((وأنفقوا... الآية)) فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد" رواه ابن حبان والحاكم وصححاه.

٢- ترك الجهاد سبب لعذاب الله وبطشه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢)

٣- ترك الجهاد والفرح بالقعود من صفات المنافقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٣)

(١) سورة البقرة آية ١٩٥.
(٢) سورة التوبة آية ٣٩ .
(٣) سورة التوبة الآيتان ٤٤-٤٥ .

وقال سبحانه: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١)

٤- ترك الجهاد سبب لإفساد أهل الأرض بالقضاء على دينهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (٢)

وقال سبحانه ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣)

٥- ترك الجهاد يفوت مصالح عظيمة وفضائل جمة منها الأجر والثواب والشهادة والمغنم والتربية ودفع شر الكفار وإذلالهم، ورفع شأن المسلمين وإعزازهم.

٦- ترك الجهاد قد يعرض لعقوبة عاجلة تنزل بالقاعدين عن الجهاد، كما قص الله تعالى من خبر بني إسرائيل لما طلب إليهم موسى عليه الصلاة والسلام أن يدخلوا الأرض المقدسة فقالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٤) وقد وعى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدرس جيداً، ففي يوم بدر لما استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال؛ قال له المقداد: يا رسول الله: إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن امض ونحن معك".(٥)

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٨١-٨٢ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥١.
(٣) سورة الحج آية ٤٠.
(٤) سورة المائدة الآيتان ٢٤-٢٥.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة المائدة ١٦٨٤/٤

٧- ترك الجهاد سبب للذل والهوان: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾. [١]

(١) سورة التوبة آية ٣٩.

المبحث الرابع : ثمرات الجهاد وفوائده

للجهاد فوائد عظيمة وثمرات يانعة ومصالح جمة تتحقق للأمة، بل وللعالم كله نذكر على سبيل المثال منها:

١- كشف المنافقين، فإنهم في حال الرخاء لا يتميزون عن غيرهم فإذا جاءت الشدة والبأساء تبينوا للمؤمنين وانكشفوا . قَالَ تَعَالَى:﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾[١]. وقال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾. [٢]

وقال عنهم في بدر: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾. [٣]

وقال عنهم في غزوة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [٤] ، وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [٥]

٢- تمحيص المؤمنين من ذنوبهم. قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [٦]

٣- اتخاذ الشهداء منهم، للآية السابقة.

٤- محق الكافرين، للآية السابقة.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٩.
(٢) سورة آل عمران آية ١٤٢.
(٣) سورة الأنفال آية ٤٩.
(٤) سورة الأحزاب آية ١٢.
(٥) سورة محمد آية ٢٠.
(٦) سورة آل عمران الآيتان ١٤٠-١٤١.

٥- تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس والإيثار. قال تعالى﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[١] .

٦- دخول الناس في دين الله تعالى فإن كثيراً من الناس لا ينقادون للحق الذي لا تحميه قوة ولا يكون له بأس، وعامة الخلق ينفرون من الضعيف والضعف ولذلك قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢]

قال ابن كثير: "وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده من بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وتبيان ودلائل، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده"[٣]

ودعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر شاهد على هذا إذ لما تكونت للمؤمنين في المدينة قوة يضربون بها في الأرض وفتحوا مكة جاءت العرب مسلمة مذعنة.

٧- محو الفساد من الأرض، لأنه إن لم يجاهد المسلمون المفسدين ارتفع منار الفساد وقويت شوكة المفسدين، وتلك سنة جارية قال الله عنها: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٢.
(٢) سورة الحديد آية ٢٥.
(٣) تفسير القرآن الكريم ٤٠٣/٤
(٤) سورة البقرة آية ٢٥١.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١)

قال ابن زيد: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض: لولا القتال والجهاد"(٢) .

وقال مقاتل: "لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المسلمين وخربوا المساجد" (٣)وقال سبحانه: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ (٥).

٨- ظهور صدق الدعوة للناس وذلك من وجوه:

أ- أن يشاهد الناس الدعاة إلى الله وهم يبذلون من أجله كل شيء مع خلوهم من المطامع فيدعوهم ذلك إلى التفكر فيهم وفيما يدعون إليه.

ب- أن يرى الناس معاني ومبادئ تلك الدعوة تتحرك في أهلها بلا مواربة ولا خفاء ولذلك هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليتموا أمر الله ويعملوا بكل ما يؤمرون به، ولو كان أداء بعض شعائر الإسلام خفية كافياً في أداء حق الله تعالى على المسلم لما كان القاعد عن الهجرة بين ظهراني المشركين آثماً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (٦)

ج- ما يمنحه الله للمجاهدين من أسباب النصر التي تخرق الأسباب المادية المألوفة، والتي تكون سبباً لتصديق الناس بهذه الدعوة. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ

---

(١) سورة الحج آية ٤٠.
(٢) الطبري ١٢٤/٧.
(٣) زاد المسير ٣٠/١.
(٤) سورة التوبة آية ٨.
(٥) سورة البقرة آية ١٢٠.
(٦) سورة النساء الآيات ٩٧-٩٩.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[1] وهذا في غزوة الأحزاب. ومثله صار في بدر وغيرها من المشاهد.

٩- أنه سبب لرأب صدع المسلمين وتآلفهم وقلة خلافاتهم: إذ يكون جل همهم ملاحقة عدوهم ونشر دينهم ودعوة الناس إلى الله. قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[4].

١٠- أنه سبب للهداية قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ، قال سفيان بن عيينة لابن المبارك: إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: (لنهدينهم)[5] .

وقال ابن جرير: "لنهدينهم سبلنا، يقول: لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم"[6] .

١١- أنه سبب لاستمساك المسلمين بدينهم، وحرصهم على الحفاظ عليه، وذلك لأنهم بذلوا في سبيله الغالي والرخيص، فلا يمكن أن يفرطوا فيه أو يتهاونوا به. قال سيد قطب: "ولابد من تربية النفوس بالبلاء ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف... ليؤدي المؤمنون تكاليف هذه العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٦٢-٦٣.
(٢) سورة الأنفال آية ١٢٠.
(٣) سورة الأنفال آية ٦٤.
(٤) سورة الأنفال آية ١.
(٥) القرطبي ٣٦٤/١٣.
(٦) الطبري ٢١ /١٥ .

يؤدي أصحابها تكاليفها، لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف هنا هي الثمن الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين"[1].

نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً . وأن يرفع عنهم الذل والهوان .والله تعالى أعلم .

(١) الظلال ١٤٥/٢.

الخاتمة

في أهم النتائج التي تناولها البحث

وبعد هذا العرض الموجز لأحكام الجهاد ومبادئه التي شرعها الإسلام، يظهر لنا بما لا يدع مجالاً للشك إنسانية الإسلام وعدله، كما يظهر لنا قوته وحزمه في التعامل مع أعداء الإسلام، إذا انتهكت حرمة من حرمات الله تعالى.

إن الهدف من الجهاد : هو إعلاء كلمة الله، وإقامة دينه، ورد غوائل الطغيان، ومحاربة الفساد، وتحرير البلدان من ظلم المعتدين.

ويتضح من تعاليم الجهاد ما يأتي :

١- أن الغضب لا يكون إلا لله، وعند تعطيل أحكام الدين.

٢- أن القتال لم يشرع للتشفي، وإنما هو علاج أخير حين تخفق كل الحلول.

٣- صيانة كرامة الإنسان وحريته.

٤- ضمان العدالة والمساواة.

٥- مكافحة الفساد الذي يخرب الفرد والمجتمع.

٦- إعانة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا، والانتصار لهم من أهل الشرك.

٧- إعداد الجندي دينيًّا وخلقيًّا، تحقيقًا لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا».

غرس الأخلاق الحميدة في نفوس المجاهدين عند إعداده، لكي يقوم بتطبيقها حتى في المعاملة مع أعدائه، وهو مبدأ من مبادئ الإسلام السمحة يتمثل في الرأفة مع الأعداء بعدم قتل شيوخهم ونسائهم وأطفالهم، وعدم الاعتداء على معابدهم وعدم البدء بقتالهم، ومعاملة أسرهم بالعدل والرحمة.

تلك هي أهم مبادئ الجهاد في ديننا الحنيف الذي يحرر الإنسان من سيطرة الهوى والشهوة، ويحرر الوجدان من الطغيان والقسوة، ويحرر العباد من الظلم والذل، ويحرر البلدان من الفساد والضلال.

والله أسال أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع بسهولة ويسر، آملاً من الله تعالى أن يكون التوفيق قد صاحبني، والسداد قد حالفني، وليس لي فيه إلا اقتطافه من رياض ما كتبه الأئمة الأعلام، وجهد إخواني السابقين في هذا المجال. و أخيراً الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و أسأله سبحانه أن يوفقنا لما يحب و يرضى و ما كان من توفيق في هذا البحث فمن الله وحده و ما كان من خطأ فمن نفسي و من الشيطان و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

قائمة المحتويات الصفحة

المقدمة..... ١

الفصل الأول : حقيقة الجهاد ومشروعيته ٦

المبحث الأول: تعريف الجهاد لغة وشرعاً..... ٧

المبحث الثاني: مشروعية الجهاد في سبيل الله..... ٩

مراتب الجهاد في سبيل الله ١٠

الحكمة من مشروعية الجهاد..... ١٣

المبحث الثالث : مراحل تشريع الجهاد في سبيل الله:..... ١٤

المبحث الرابع: الحالات التي يتعين فيها الجهاد..... ١٩

الفصل الثاني : فضل الجهاد..... ٢٢

المبحث الأول : فضل المجاهد ين في سبيل الله ٢٣

فضل الجهاد في القرآن الكريم ٢٥

فضل الجهاد ومكانته قي السنة النبوية ٢٧

مكانة المجاهد في سبيل الله ٣٣

ذكر بعض أقوال السلف الصالح في فضل الجهاد..... ٣٥

المبحث الثاني : أهداف الجهاد في سبيل الله ٣٨

الفصل الثالث : أنواع الجهاد في سبيل الله..... ٤٥

المبحث الأول : الجهاد المعنوي..... ٤٦

المبحث الثاني : جهاد الدعوة إلى الله ٥٢

الفصل الرابع : مسوغات الجهاد في سبيل الله ٥٧

المبحث الأول :حكم الجهاد في سبيل ٥٧

المبحث الثاني :الجهاد بين الكفاية وفرض العين ٦٦

المبحث الثالث :الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه..... ٧٠

المبحث الرابع :ثمرات الجهاد وفوائده ٧٣

الخاتمة ٧٨

المصادر والمراجع..... ٨٠

قائمة المصادر والمراجع

١- تفسير القرآن العظيم ، المؤلف : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء .

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الأولى ت ١٣٧٦هـ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف المؤلف : عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٧.

٤- جامع العلوم والحكم المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الناشر : دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبى.

٦- الجهاد المؤلف : عبد الله بن المبارك الناشر : التونسية للنشر - تونس ، ١٩٧٢

٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار العاصمة – الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٤

٨- الأربعون في الحث على الجهاد المؤلف : علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الناشر : دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ .

٩- الروض المربع شرح زاد المستقنع، تحقيق عبد الله الطيار، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠- زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله

مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت الطبعة الرابعة عشر ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦

١١- زاد المسير في علم التفسيرالمؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت

١٢- سبل السلام شرح بلوغ المرام، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢هـ

١٣- سنن أبي داود المؤلف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي الناشر : دار الفكر تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

١٤- سنن البيهقي الكبرى، لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ)

١٥- سنن الترمذي المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

١٦- سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٥هـ.

١٧- الشرح الممتع، لابن عثيمين، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ، مؤسسة آسام للنشر، المملكة العربية السعودية.

١٨- شرح النووي على صحيح مسلم، مراجعة خليل الميس، دار القلم، بيروت، لبنان.

١٩- صحيح ابن ماجه، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٠- صحيح البخاري المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٢١- صحيح مسلم المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٢- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، بقلم محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، دار الصديق، الجبيل، المملكة العربية السعودية .

٢٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود المؤلف : محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ .

٢٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .

٢٦- الفوائد المؤلف : تمام بن محمد الرازي أبو القاسم الناشر : مكتبة الرشد – الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٢ .

٢٧- القاموس المحيط المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .

لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ

٢٨- لسان الميزان المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

٢٩- مجموع فتاوى ابن تيمية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بدون تاريخ، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.

٣٠- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المؤلف : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد الناشر : دار الفكر – بيروت .

٣٠- مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفى سنة ٢٤١هـ

٣١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي.

٣٢- المفردات للامام الراغب

٣٣- مقدمة ابن خلدون،

٣٤- مطالب أول النهى

٣٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيالمؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الناشر : المكتبة العلمية - بيروت

٣٦- المبسوط للإمام شمس الدين السرخسي

٣٧- نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار، للإمام مح مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، المتوفى سنة ٧١٢هـ. مد بن علي الشوكاني

٣٨- النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك، المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦هـ

٣٩- مداج السالكين بين أياك لا بن قيم

إهـــــــــــــــــــــــداء

إلى كل عاشق للكلمة ، وكل محب للحقيقة ، ويراها ملموســـــة كما يرى الشـــمـس في وضـح النهـــار ـ إلى أمي الحنون وإلى أبي العزيز

إلى أخواني وأخواتي إليهم جميعاً أهدي هذا الكتاب . .

سائلاً المولى عز وجل أن يجزل لهم الأجر والثواب وصدق الله العظيم :

(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)